

كيف الوصول إلى رضاك يا رب

فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك

الملكة التوفيقية

للم لاهب الأضر - مينا الحسن

تأليف
عبد الحميد كشك

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

العمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم صلاة وتسلما يليق بمقام أمير
الأنبياء وإمام المرسلين . وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين وأشهد أن
سيدنا ونبينا وعظيمنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين . صل اللهم
وسلم وبارك على هذا النبي الأمين وعلى آله وأصحابه الغر الميامين وارحم
اللهم مشايخنا ووالدينا وأموالنا وأموات المسلمين أجمعين .

اما بعد ...

فهذا كتاب قد اشتمل على أحاديث متنوعة تأخذ بأيدي السالكين إلى النجاة
وتنقلهم من كثافة المادة إلى لطافة الروح . فالتحفة مطلب عزيز المنال ،
قوى الهدف رفيع الشأن . فما أجمل أن يسأل الصحابي الجليل ، عقبة بن
عامر ، وما أعظم أن يجيب بمعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية
في بلاغة موجزة وإيجاز بلغ . قال ، عقبة ، .

ما النجاة يا رسول الله ؟ قال : « امسك عليك لسانك . ولبسك بيهتك .
وابك على خطيئتك » : نعم ما أعظم أن يشخص الرسول الكريم ﷺ الداء
وما أروع إذا وصف الدواء .

فالنجاة كلمات ثلاث ، لكنها في سموها لو صعدت إلى السماء لكانت قمرا
منيرا : وفي جمالها لو هبطت إلى الأرض لكسبتها ستندسا وحزيرا : وفي
جلالها لو مزجت بماء البحار لجعلته عذبا فرانا مسيبلا . إنها تنقل بالإنسان
من صلصال من حمأ مسنون إلى نور يتنسم فيه الروحانيات الصافية : فيسلك
إلى معارج القنس ليقف على حقائق الأسرار ودقائق الأخبار حيث يقف في
مقعد صدق عند مليك مقتدر . ﴿ فاستبشروا الخيرات وسارعوا إلى مغفرة

من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴿

[آل عمران : ١٣٣]

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ [توبة : ١٠٥] .

﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾

[يوسف : ٢١]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . .

فضيلة الشيخ / عبد الحميد كشك

طريق النجاة

إلى الذين يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ، وإلى الذين ينشدون ربهم - سبحانه وتعالى - لينالوا السعادة في الدارين . إلى : ﴿الذين إذا ذكر الله وحس قلوبهم ، وإذا نلت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة وما رزقاهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ [الأعمال : ٧٤] .

أخي المسلم :

إن تاريخ الأمة الإسلامية مع اليهود والصهيونية حافل بالمخاطر ، سره بالأحداث الجسام ، مفروش بالأشواك ، أحاطت بجانيه الأحرش التي آوت إليه العقارب والحيات ، إذا سلم السائر فيه من نهشة الثعبان ، فقد لاسم لدغة العقرب : إنه تاريخ يضرب بجذوره في باطن الأرض حيث عداة اليهود والصهيونية يسافر به سلام الحنيف منذ فجره ، فاليهود هم الذين وقفوا للدعوة يكيدون لها بطريق الدس والتفتة ، ويوم انتصر المسلمون في غزوة بدر هاجت عقارب البغضاء في صدورهم وتحركت ثعابين الحقد في نفوسهم ، وأرسلوا وفدا منهم رسول الله - ﷺ - ليقولوا له : يا محمد ! لا يغرنك إن كنت قد انتصرت على أهل مكة ، فأنهم لا ينتقون قول القتال ، وأما إنك من تنكب عن طريق الجادة ، ويمد يده إلى كل عائر حائر من لحج البحار المتلاطمة . وإذا كانت الصهيونية تنجح ، وتصرح ولا تنوارى ، ونفس أنها قامت على التوراة . فأولى بأهل الحق أن يقولوا لهم بدون مواربة : إنهم قاموا على القرآن ، والقرآن حق ! رجل جلال الحق إذ يقول في الحديث القدسي : « أنا عبد ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني : فإن ذكرني في نفسي ، ذكرته في نفسي . وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أنال يمشي أتيته هرولة » . فاللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه الغر الميامين .

القرآن العظيم وأثره في النصر

لما كان أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، كان لزماً على كل من يدعو إلى الله على بصيرة أن يتخذ من القرآن روحاً تحيى في الأحساد موتها . ونورا يمدد في كائنات ظلماتها ، ففي القرآن روح الحياة ، ونور الهداية في ذلك أوجها إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا هدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض . ألا إلى الله تصير الأمور ﴿ [الشورى : ٥٢ - ٥٣] .

والقرآن العظيم كتاب الإسلام الخالد الذي لا يلى جده ، ولا تنفنى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة تلاوته : يقول الله تعالى في هذا الكتاب العزيز : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ [النور : ٣٥] ، ويقول عنه أيضاً : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ﴾ [التباين : ٨] . ويقول عن رسوله العظيم : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ .

فتأمل يا أخى هذا النظام الفريد ، وهذا العند الرباني المجيد : الله نور ، والقرآن نور والرسول نور ، والوظيفة التي نزل الكتاب وبعث أمير الأنبياء هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور : ﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [إبراهيم : ١] . هذه الأمة الموصوفة بهذا الشرف العظيم ، المنزل عليها هذا الكتاب الكريم ، واجب عليها أن تعيش في هذا النور لتأخذ مكانتها فوق قمة الفلك في باذخ العلياء ولا يلبق بها أن تهبط أو تصغر حدها له ، فتتحد إلى قلوب الدجى وغياهب الظلمات وحضيض الغراء وتخط عشواء في ليلة ظلماء .

يقول سيد الخلق وحبيب الحق : « كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم » ثم تلا قوله تعالى : ﴿ أولئك يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ [العنكبوت : ٥١] .

إلى أخط هذه السطور والذكريات الجيدة تتزاحم أمامي في مركبها المقدسة يوم وحد القرآن هذه الأمة ، وجمع شملها ، وفوى بنيانها . وأزال ما بها من شقاق ، ووقف بها على أركان المودة والوفاق : يوم كان المسلم يتقى في أسفاره في بلاد تترقب عليه راية التوحيد ، ويوم موت مكة ذراعها إحداهما إلى قرصة ، والأخرى برضى ، ويوم كان القرآن قد أزال الخواجز والموانع والمواصل ، كان المسلم في تجواره وترحاله وهو في وصعده من أقصى بلاد الإسلامية إلى أقصاها ، . يمكن يستوفقه شرعى يطلب من حوار المرور أو ناشيرة الدخول والخروج ، لأن هذه الأرض التي كان يسير عليها أرض أشرف فيها نور التوحيد ، وارتفع عليها لواؤه ، ودرجت فوقها رايته .

الله فوق الخلق فيها وحده والناس تحت لوائها أكفاه

وإن يحرس اليوم أن أرى الفرة ضاربة أطراف بين شعوب لأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومعاربها ، في الوقت الذي نسمع فيه هذا التصريح الخطير لأحد المسؤولين في إسرائيل والذي يقول فيه : إن لاسرائيل مطالب أقلية ودينية في أجزاء من الأرض التي احتلتها لأن إسرائيل قامت على ثلاثة مقومات :

١ - الثورة . ٢ - الشعب اليهودي . ٣ - أرض الميعاد .

فهل آن الأوان للأمة الإسلامية أن تلتفت عن نفسها عوامل الضعف والفرقة ، وتنتبه إلى ما يحيط بها من الخطوب المدممة ، وأنقذ القسيمة القائلة الفادحة ؟!

أما آن لأمة القرآن أن تكره هذا الكتاب وتستغنى بهديه ؟ وإذ نحن غيبنا في بطون التاريخ واستقرنا صفحاته . لمأنا أن هذا الكتاب بكرم كان القوة التي تأخذ به المسلمون في جميع الميادين ، وتدفع بهم إلى النصر المبين ، نعم : لقد شسكوا بما جاء فيه ولزموه ورثوا آياته وعملوا بها ، فكانوا في سلمهم وحرهم صادقين مع كتاب الله . كانوا في سلمهم قرآناً يمشي بين الناس ، غزا القرآن قلوبهم بوره ، وأضاء بيوتهم بكواكبه الدرية ، حتى كان المسلم إذا دخل بيته سأله روجه : كم نزل اليوم من القرآن ؟ وكم حفظت من حديث رسول الله ﷺ ؟!

سؤالان تبادر بهما الزوجة عندما تفتح الباب لزوجها حتى لا يفتوها شرف الوقوف على ما نزل من نور السماء ، ليتصل بأرض الصحراء فيبيت فيها ويشمر ، ثم تفرق ذلك بالسؤال عما جاء على لسان البشر المذير عند ﷺ من الهدى ، فقد علمهم

أستاذ الإنسانية الأكبر أن يفتلوا ما جاء عنه كما سمعوه منه ، ودعا لهم بالنصرة حيث يقول : نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها . ثم أداها كما سمعها . فرب حامل فقه ليس بفقيه .

كان المسلمون في حربهم - كما وصفهم قادمهم - فرسانا بالهار ، رهبانا بالليل ، هم دوى كدوى النحل . فكانت قوة الكتاب في صدورهم تبعث الرعب في قلوب أعدائهم ، وكان نور القرآن في أفئدتهم يضيء هذه الطريق إلى مكائن الأعداء . فيسكنهم من رقابهم . حتى لقد وقف هرقل في مدينة أنطاكية أكبر مدن الإقليم الشرقى للإمبراطورية الرومانية - وقف يلقى هذا السؤال الحائر على أسماع كبار قياده جيشه يلتصق منهم الجواب الشاقي ، بعد ما فرغ صره . وغلا مرجل الغيط في قلبه . ثم الفجر قائلا لقواد جيشه : من هؤلاء الذين يماربونكم ؟ أشير أم ملائكة ؟ ويخبر الصمت الرهيب على قادة الرومان ، فيطلب منهم الجواب بصراحة ، فيقوم أحدهم فيقول : إنهم بشر باسیدی ولكنهم يمسومون النهار ويقومون الليل ، لا يشربون الخمر ، ولا يلعبون الميسر ، يحمل عليهم فيصبرون ، ويحملون علينا فيصدقون . أما نحن فحمل غايهم فلا نصديق . ويحملون علينا فلا نصير ! .

تنفذ هذه الإجابة إلى سمع هرقل عظيم الروم ، وتتعلل في نفسه ، فيرفع رأسه قائلا لقواده - والمرارة تملأ عليه أقطار وجدانه : نحن كانوا كما قلتم فليمكن موضع قدمي هاتين : ولقد كان ما قاله هرقل أبرأ واقعا : فقد جاء اليوم الذى حمل فيه المسلمون من البحر الأحمر والبحر الأبيض خيبرتين صغيرتين تحريان في أرض الإسلام وترغرف عليهما راية القرآن ، فما السر في هذا ؟ لقد أخذ الله على نفسه وعدا - ووعد الله لا يخلف - ﴿ إنا لننصر رسلا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ [غافر : ٥١] . وأكد في كتابه هذا الوعد فقال : ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ [الروم : ٤٧] . ثم بين كيفية هذا النصر وفصل لمن يكون ، فقال : ﴿ إن الله يذافع عن الذين آمنوا ، إن الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز . الذين

إن مكانهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . والله عاقبة الأمور ﴾ [الحج : ٤١] .

فوالله لو أكرمنا كتاب الله ما أهاننا أحد . ولو أكرمناه لرغرت راية التوحيد خفاقة على كل بلد ! يا أئمة الإسلام : إذا كان الكون قرآنا صامتا ، فإن القرآن يكون ناطقا فلتكونوا أنتم قرآنا يمشى بين الناس : يرشد الضال ، ويهدي .

لو نازلنا لعلنا كيف نكون الحرب ! لعنهم بذلك كبرا يريدون أن يعنوا الحرب النفسية بسموها لتفعل فعلها في صفوف المسلمين . ولكن ما لبث القرآن الكريم أن حسم الموقف بقرعة . وقصصه بعنف ، فهذا إنذار نزل به سفير الأنبياء حربيل عليه السلام ، يرد القرآن به على أولاد الأفاعى : ﴿ قل للذين كفروا ستعجلون وتخشرون إلى جهنم . وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فتين الضافة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة يروهم مثليهم رأى العين ، والله يزيد بنصره من بشاء ، إن في ذلك لبرة لأولى الأبصار ﴾ [آل عمران : ١٦] .

إن ما فعله يهود بنى قينقاع . وما فعله هو المفسر وسر قريظة من مؤامرات لا تخفى على أحد . وما قام به عبد الله بن سبأ - اليهودى الذى تدهر بالإسلام وقد كان رأس الفتنة التى اندلعت نارها بقتل الخليفة الثورى عليه ، عثم ابن عفان رضى الله عنه ، وما جرت الفتنة بعد مقتله موج البحر تأكل الأحضر واليابس ، والذى أترها وأشعل نارها هو ابن سبأ ، ذلل الذى عشن الشيطان في رأسه . فباض الفتنة وفرغ الشقاق والفرقة ، إنه من المتأمرين على أمة الإسلام ويصدق فيه قول الحق جل وغلا : ﴿ لنجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا : اليهود والذين أشركوا ﴾ [المائدة : ٨٢] .

ويحمد هذا العدا مع الأهم حيث تريد قوى الشر أن تطفى نور الله بأفئتها . إن الحقائق تثبت ، والوفاق تؤكد والتاريخ يشهد ، أن الصهيونية العالمية التى أقامت دولة إسرائيل في الشرق الإسلامى ، تريد أن تفت أمة الأمة الإسلامية شاعرة السلاح في وجهها . فلقد صرح الصحنى الصهيونى الحسى « هيرتل » قديما بتصريح قال فيه : إن قيام دولة لليهود في سوريا أو فلسطين تكون امتدادا للحفارة الغربية ، وحصنا ضد المحجة العربية ! .

إذا كان هذا التصريح قد مضى أكثر من نصف قرن ، فإنه بالعمل الدائب المستمر من جانب هذه القوى ، قد أصبح ما قاله « هيرتزل » أمراً واقعاً . فقد قامت إسرائيل ، وقامت لليهود دولة .

ولست أنسى هذا الموقف لبعض قادة إسرائيل لما دخلوا بيت المقدس بعد الحرب الأخيرة في يونيو ١٩٦٧ حيث قال وهو في بيت المقدس : الآن نكون قد تأخرنا لأجيادنا في خير . وهذه الكلمة إنما تعرب عن نفس انطوت على الانتقام والثأر ، لا تعرف إلا سفك الدماء ، ولأناس إلا بلعة المدفع : نفس لاتنسى الأحقاد . ولا تنسى البغضاء . . .

ألا فلتعلم الأمة المسلمة أن عدوها ما كر وخبيت ، وغلبها أن تذكر قول النبي ﷺ : « إن جبريل أخبرني أن أمتي مختلفة ، قلت : فما اخرج ؟ قال : كتاب الله . وهل هناك ما يعصم الأمة من الاختلاف إلا أن تعمل بكتاب ربها ؟ » إنه للفتح عظيم من رسول الله ﷺ ، وتوجيه كريم يريد أن يقدمه لكل من أراد أن يذكر ويعتبر على كتاب الله هذا الداء الخالد : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولكن مكتم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم » [آل عمران : ١٠٢ - ١٠٥] .

ألا فلتضع الأمة الإسلامية نصب عينيها هذه النصيحة النبوية الشريفة ، فيها السعادة الأبدية . فإن الرسول صلى الله عليه وآله وصفه ربه بقوله : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم » والذي سأل عبد الله بن عمرو بن العاص عن وصفه في النبوة قال : والله إنه لموصوف في النبوة ببعض صفته في القرآن حيث قال الله عز وجل : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين . ولا صخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله . فيفتح بها أعينا عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاء . . . »

هذا الرسول الذي ثبت له هذه الأوصاف لما سأل جبريل عن اخرج من اختلاف أمة قال له : كتاب الله : .

نفس لك الغداء يا رسول الله :

كيف ترق رقيق الأنبياء باسماء ما طاولها سماء
يدانوك في علاك ، وقد حال ساء منك دونه وسقاء
إعنا مثلوا صفاتك لنا من كما مثل النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فما تصدر إلا عن ضوئك الأصواء

هو الأمل الذي علم المتعلمين ، والهدى الذي بعث الأمل في قلوب المسلمين ، وأهدى إلى قد صفة العالم الخاتمة في حضم المحيط ومعترك الأمواج ، إن شطط الله رب العالمين . إلى مكارم الأخلاق وحيد السجاء ورفع الشوائب فإدى عن بشرية قائل : إن في الجنة عرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لمن طيب الكلام وأدام الصيام . وأطعم الطعام وصل بالليل والناس نيام . . .

فاللهم ارفها اتباع هدى كتابك الكريم وسم رسولك الحبيب حتى نتصرف على عاداتك أعداء الدين وتبع ضرائك المستقيم ففيه النجاة يوم الدين . وصلى الله وسلم على النبي سائر المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين .

القانون الإلهي العادل

ليس شيء أعظم في هذا الوجود من اتباع هدى الله ، والسير حسب تعاليمه ، كما قال جل شأنه : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكَمُ وَصَايَ بِهِ لَكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

ومصادر الهدى الإلهي قطعية الثبوت ، معصومة من الخلفاء ، وإذ كانت وسائل المعرفة مختلفة ، وطرقها متعددة : بعضها راجع إلى العقل ، وبعضها مبني على الحواس وبعضها طريقاً للوحي - فإن ما بني على العقل والحواس لا يهتد العلم اليقيني ، أما ما كان طريقه الروحي فإنه يقيني قطعي .

ولقد نعى القرآن الكريم على الذين يتركون طريق الوحي متبعين غيره ، فقال : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا هُوَ بِهَدًى مِنَ اللَّهِ ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ [النجم : ٢٣] . ويقول : ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَكُنْ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ، فَأَعْرِضْ عَنْ تَوَلَّيَ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرْدِ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُهْدَى ﴾ [النجم : ٣٠] .

وإذا كان من المسلمات المنطقية أن العدد إما زوج أو فرد ، ومن المسلمات الهندسية أن مجموع زوايا المثلث تساوي زاويتين قائمتين ، وأن الخط المستقيم أقرب صلة بين نقطتين ، فإن من مسلمات القرآن : هذا القانون الحالد . الأزلي الأبدي ، وهذه القضية العادلة التي حكم بها الله من يوم هبط آدم وحواء إلى هذا الكوكب وإلى يوم أن يرت الله الأرض ومن عليها : إن هذا القانون يوضحه هذا المشهد القرآني الحافل بالإنوار الجللال والمظمة ، المبين للخط الذي وقف على أوله آدم أبو البشر ، والذي يقف على آخره الملك الموكل بالنفخ في الصور ، وإنه لخط ذو مواقف مختلفة ومراكز متنوعة ، وكأنه سلسلة متصلة الحلقات متشابكة الوقائع : يقول جل شأنه في شأن آدم : ﴿ ثُمَّ اجْنَبْهُ رِبَّهُ فَاتَّبَعَ عَلَيْهِ وَهَدَى . قَالَ ابْطَأْ مِنْهَا جَمِيعًا ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ . فَإِذَا بَلَغَ الْبِرْثَمَ مَنِ هَدَى . فَمَنِ اتَّبَعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْغَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ

له معيشة ضنكا . ونَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا ، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى . وَكَذَلِكَ نُخَذِّرُكَ مِنَ الْأَسْرَفِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ، وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ [ص : ١٢٢ - ١٢٧] .

هذا قانون الله العادل الذي لا يتخلف أبداً ، ولا يراه في صدقه ، وهذا حكم الله القادر ، ولا مغيب لحكمه ، قوله الحق وله الملك : (فمن اتبع هدى فلا يضل . ولا يشقى) ، وأين نعتز على هدى الله ؟ وكيف الوصول إلى هداه ؟ إن من أسوأ السؤاليين نجدهما قد أحاط عليهما القرآن إجابة صريحة واضحة :

ففي فاتحة الكتاب العزيز ندعو الله كل يوم سبع عشرة مرة على قدر في صلوات قائليه : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ٦] وهذا أعظم سؤال يرفع غاية ، فأين نجد الهداية إلى الصراط المستقيم ؟ إن القرآن يجيب على هذا في سورة البقرة ، التي تلي سورة الفاتحة فيقول : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] ، فالعشر على هذه الهداية في هذا الكتاب ، والوصول إليه بالوقوف على حيثيات هذا الحكم ، وهو في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٥] ، وحيثياته تتجلى في قوله جل شأنه مبيناً وصف المتقين بأنهم ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ، وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة : ٤] .

إن اتباع هدى الله يكون باتباع وحيه المنزل على رسله ، ووحى الله من عند رسله هو القرآن والسنة . قال ﷺ : « أوتيت القرآن ومثله معه » .

ولقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : يا رسول الله إنا نسمع من يهود أحاديث تعجبنا ، أفكتب بعضها ؟ قال أستاذ الأساطير الأعظم : « أمتيكون أنهم كما يهركت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم به بيضاء نقية . ولو كان أخى موسى حيا ما وسعته إلا اتباعي » ! فتأمل معنى كيف كان اتباع الهدى باتباع شرع الله المنزل في كتابه الكريم وهدى رسوله العظيم ، وإن في اتباع ذلك البعد عن الضلال والشقاوة : ثم ارجع البصر في قوله جل شأنه ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ وقارن بين موقفين مقارنة

صحف إبراهيم عليه السلام

أعلى طريق الحجة نسجل ذلك الحديث الجامع من التوجيهات والنصائح :
حيث وقف فيه أبو ذر موقف السائل المسترشد ، ووقف فيه المبعوث
موقف المحيى المرشد ، وإنا نسوق هذا الحديث إلى من يري الكرم
فيه من ألوان الحلال والمعظمة :

ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله : ما كانت صحف إبراهيم ؟
، أمثالاً كلها ، أيها الملك المسلط المبلل المغرور : إلى كُنتك لتجمع
على بعض ، ولكنى بعثك لترد على دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها .
ن كافر . وعلى العاقل - ما لم يكن مغلوباً على عقله - أن يكون له
اعة يهاجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها في
ز وجل - ، وساعة يخلو فيها لحاجاته من الطعام والمشرب . وعلى العاقل
عنا إلا للثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة في غير محرم
ن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافطاً للسانه . ومن حسب
له ، قل كلامه إلا فيما يعينه .. قلت يا رسول الله : كم كانت صحف
السلام ؟ قال : كانت عبراً كلها : عجيبت لمن أيقن بالموت ، ثم
عجيبت لمن أيقن بالنار ، ثم هو يضحك ! عجيبت لمن أيقن بالقدر ، ثم
عجيبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ، ثم اطمأن إليها ! عجيبت لمن أيقن
أثم لا يعمل .. قلت يا رسول الله أوصنى ، قال : « أوصيك بتقوى
الأمر كله » ... قلت يا رسول الله زدنى ، قال : « عليك تلاوة القرآن .
عز وجل - ، فإنه نور لك في الأرض ، وذخر لك في السماء » ...
ل الله زدنى . قال : « إيتاك وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ويذهب
.... قلت يا رسول الله زدنى .. قال : « عليك بالجهاد ، فإنه رهبانية
ت يا رسول الله زدنى . قال : « أحب المساكين وجالسهم .. قلت يا رسول
فوفلت ، فإنه أجدر .. » : « أنظر إلى من هو محتك ، ولا تنظر إلى من هو

أن لا تزدرى نعمة الله . . . قلت يا رسول الله زدني . قال : هـ قل الحق وإن كان مرأى . . قلت يا رسول الله زدني . قال : هـ ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك ، وتجد عليهم فيما تأتي . . ثم ضرب بيده على صدرى فقال : هـ يأبأ ذر : لا عقل كالقديس ، ولا ورع كالكلب ، ولا حسب كحسب الخلق . رواه ابن حبان والحاكم .
جزاك الله عنا يا سيدي يا رسول الله خير ما جازى نبياً عن أمته ! حقاً : لقد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ، وجاهدت في الله حق جهاده . وصيرت على البلاء ، وتحملت الضراء .

أرأيت يا أبا الإسلام إلى هذه المائدة النبوية الشريفة الخافضة بالوإن الغذاء الروحي الذي يرق بالنفس من مدارج الخيال في مذابها إلى مسابح الأمل في أبراجها ؟ ثم أستمعت كيف تدرج الصحابي مع الرسول من صحف إبراهيم إلى صحف موسى ، ثم وقف أمام المنهل العذب يسأل رسول الله - ﷺ - أن يوصيه ؟ ثم أرأيت كيف يستزبد رسول الله - ﷺ - في الوصية ؟ إنها ساعة السعادة ولحظة العمر المباركة ! وهل هناك في لحظات الحياة أسعد من أن يسأل الإنسان رسول الله - ﷺ - ؟

ثم أرأيت إلى جوامع الكلم وإلى الحكمة تساب من فم رسول الله - ﷺ - كالدر المشور ، لتألق أمام المسلم كأنها هالات النور ، وينضوع من أرنجها كأنها باقات العطور ، وليلقى الله بها كأنها أكابيل النور ؟

انظر إلى الوصايا الخالدة وكيف أن سيد الحق وحبيب الحق يوصي - أول ما يوصي - بتقوى الله . ثم يحكم على التقوى بأنها رأس الأمر كله ، وما التقوى إلا الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل . فهي كلمة جامعة مانعة : فمن اتقى الله خافه ، ومن خاف الله عرفه ومن عرف الله امتثل أوامره واجتنب نواهيه ومن خاف الله خافه كل شيء ، ومن لم يخف من الله خاف من كل شيء .

وإذا كانت مقومات التقوى أربعة ، وهي : خوف وعمل ، ورضا ، واستعداد ، ناسب ذلك أن يحافظ الإنسان على هذا الكثر الثمين ، بتلاوة القرآن العظيم وذكر الله الكريم . وليس الذكر كلمة تلوونها الألسنة ، أو تنسب بها الشفاه ، ولكنه وظيفة تتمثل في سبعة أنحاء : فذكر العينين البكاء ، وذكر الأذنين الأصغاء ، وذكر اليدين العطاء ،

وذكر اللسان الذكر
التسليم والرضا
والذكر العبد
ذكر أعماله بطريق
الذكر والتفكير
والنهار لآيات
ويتفكرون في
عذاب النار

فالتقوى وتلا
للإنسان في الأرض
إن هذه المعاد
نهضت نمة الإسماء
الربعة عادية .
تمكنا . وبلغ الأ
قربت الدين و

رسول الله ! ولما
لقد قامت لليهود
الخصم . وكان أبو
راعيب ممي هذه
الأديب لأمره يكي
وقال من حور يور
كله ؟ فاجاب الأ

هو الطريق الوحيد
فأما : كيف
واحدة ؟ وكيف

طريق المسلمين الأوائل

لقد انخرقا أيها المسلمون عن طريق الجادة والصواب وأصبحت كالفصمة التي تنداعى الأكنة إليها ، ليس من قلة ولكن من كثرة كفاء السيل . على حين أن هؤلاء اليهود المنفردون المعززون المشتتون أصبحت لهم وجهة واحدة وأمسكوا بشيء واحد هو التوراة جمعهم وقارب بينهم وأحسن اليهود أنه لا وطن لهم إلا هذا الكتاب . وإنك أختي المسلم لتأخذك الدهشة وتستولي عليك العجب عندما نعلم أن عقيدة اليهود في إسرائيل - التي يتجمعون حولها - هي قولهم : إن الدين الذي أبقي على الآباء والأجداد . هو الذي يبقى على الأبناء والأحفاد ! .

ولقد يزداد عجبك وتشد دهشتك إذا ما اطلعت على هذه الحقيقة المرة ، والتي توجد في رسائل التربية والتعليم في إسرائيل : فالطفل في سن الثامنة يتعلم العربية ، وفي سن الثانية عشرة يقرأ التوراة بالعربية ، فإذا ما بلغ أربعة عشر عام حفظ الحكمة والأمثال من التلمود ! وجملة القول أن شذاذ الآفاق من الصهيونية والمعززين والمشردين وبغات البشر المنفرقين في أنحاء الأرض جمعتهم التوراة . وألف بينهم الدين ، وأقاموا لأنفسهم دولة في الشرق الإسلامي لم يسموها دولة ، وإيزمان . ولم يسموها مملكة بن جوريون ، أو غيره ، إنما سموها باسم نبي هو يعقوب بن إسحاق . سموها إسرائيل اسم ديني ، اجتمعوا تحت لوائه : لقد كانت الأحلام منذ عشر سنوات تتردد في بن جوريون ، أن يضع يده على شبه جزيرة سيناء ليجمع منها حدوداً آمنة لدولة الصهاينة : لقد تحولت هذه الأحلام إلى أمر واقع بقوة الحديد والبار : ولكن الكلمة الأخيرة لن تكون لمندفع إسرائيل ، وإنما ستكون لأهل الحق عندما يعتززون بدين الإسلام ويرفعون راية التوحيد عالية خفاقة : هذا الدين الذي جعل سعد بن أبي وقاص يدخل القصر الأبيض - قصر كسرى - وينكت البساط بسهمه ويقل قوله تعالى : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك أورشاليم قوماً آخرين ﴾ ثم يأمر بالأذان في قصر الطغيان : فيقف المؤذن في جوف من أبياء القصر ، ويرفع الأذان إلى الله وتدوي كلمات التوحيد

لقد أحسن اليهود أنه لا وطن لهم إلا هذا الكتاب ، ولا سباح لهم إلا هذا الكتاب ، وهم يهربون به ، ويهربون إليه . فما بالنا نحن المسلمين نهرب من كتابنا وهو خير كتاب جاء به خير نبي إلى خير أمة أخرجت للناس إذا تمسكت بالقرآن العظيم واتبعت هدى النبي الكريم وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر . .

- هذا هو طريق النجاة وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ لمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ [آل عمران : ٢٥٦] .
فاللهم اجمع رايئنا بالقرآن ، ووحّد صفوفنا بالقرآن واهدنا إلى طريق النجاة بهدي الخبيب المصطفى . وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

إلى عنان السماء وكان في القصر نار تعبد من دون الله فيها هو الأزان يعلن أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وما هي النار تشهد على الذين عبدوها بآلها والضلالات ، وبقرة الإسلام وعزته تطفأ نار الشرك بعقيدة التوحيد .

إن سعداً هذا قبل أن يتحرك بالجيش وقف بالمدينة أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب يقدم له ولجيشه النصيح ، فماذا قال أمير المؤمنين في نصيحته الغالية ؟ قال لسعد : يا سعد بن وهب : لا يفرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يحو السى ، بالسى ، ولكنه يحو السىء بالخير ، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفتهم ووضعهم في ذات الله سواء : الله ربه وهم عباده ، يفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ يفعله منذ بعث إلى أن فارقا ، فالزمره ، فإنه الأمر : هذه عظمتى إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين ! .

وعندما تاهب للانطلاق إلى العراق بالجيش قال عمر لسعد : إني قد ولتكم حرب العراق ، فاحفظ وصيتي ، فإنك تقدم على أمر شديد كرهه لا يخلص منه إلا بالحق ، فعود نفسك ومن معك الخير ، واستفتح به ، واعلم أن لكل عادة عتادا ، فعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نأبك تجمع لك خشية الله واعلم أن خشية الله تجمع في أمرين : في طاعته ، واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه يفيض الدنيا وحس الآخرة ، وعصاه من عصاه يحسب الدنيا ويغض الآخرة . وللقلوب حقائق يشنها الله إن شاء ، فمنها السر ، ومنها العلانية : وما العلانية فإن تكون حادثة أو دامة في الحق سواء ، أما السر فيعرف بظهور الحكمة من فيه على لسانه وبمجة الناس ، فإن ترهت التحجب فإن النبيين قد سائلوا عبيتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً أحبه إلى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلة من الناس ، واعلم أن مالك عند الله مثل ما للناس عندك .

ولما استعد الجيش للتحرك . وقف عمر رضوان الله عليه بوجه إليه نصائحه الغيابة بالإخلاص وقوة اليقين ونور الإيمان . فماذا قال ؟ قال رضى الله عنه : « إن الله تعالى ضرب لكم الأمثال لبحى بها القلوب ، فإن القلوب مينة في صدورهم حتى يخبأ الله . من علم شيئا فلينتفع به ، وإن للعدل أمارات وتبشير : فأما الأمارات فالحياء والسخاء واللين ، وأما التبشير فالرحمة . وقد جعل الله لكل أمر بابا ، وبسر لكل باب مفتاحا :

فباب العدل الاعتبار . ومفتاحه الزهد . والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات . والاستعداد له بتقديم الأعمال ، وترهدها الحق من كل أحد قبله حق . وتأدية الحق إلى كل أحد به حق . ولا تصنع في ذلك أحدا ، واكتف بما يكفي من الكفاف ، فمن لم يكفه كفاف لم يغه شيئا ! إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد أكرمى . رفع الدعاء به ، فأنهوا شكايتكم إلينا ، فمن لم يستطع فإني من يلغها ، فأخذ له الحق غير منته .

وهذا النصيح وتلك التوجيهات خاض « سعد » المعارك الحامية الوجس ، وبصر من الله توحوا كل المعارك . ولما أتم الله عليهم نعمة النصر . أرسل القائد عروب والفاتح العظيم سعد إلى أمير المؤمنين عمر رسالة يشتره فيها بنصر الله ، تتفاطر نورا ورحمة : قال سعد يصيب الخنود والقواد

« لسعد . وإن الله نصرنا عن أهل درس ، ومنحهم مس من كان منهم من أهل دينهم بعد قتال المويل وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراعون مثل رهائنا . فلم يسمعهم الله بذلك ، من صلبه إياه ونقله عنهم إلى المسلمين واتبعهم المسلمين على أديار وغر طفوف الآجام وفي الفجاج وأصيب من المسلمين فلان وفلان ، ورجال من المسلمين لا يعلمهم الله بهم علم ، كانوا يدورون بالقرآن إذا جن عيبه أثيل دوى السحل ، وهما آساد الدس لا يشبههم الأسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذا لم يكتب له

هذه كلست قائد نخاض في سبيل إعلاء كلمة الله ، ورفع راية التوحيد ، انتصر لأنه آمن بالله إيمان راسخا فصدق الله وعده حيث قال جل شأنه : ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ [الروم : ٤٧] .

فإذا كان اليهود يعتقدون أن عوراه هي القلب الشديد الجذب الذي يجذب الفضائل ويجمع الشارد من حونه ، فالأولى بنا والأجدر بأمة الإسلام أن تجتمع القلوب حول الكتاب الحق . والإمام الذي يهتدى النفوس الشاردة ، والأولى بنا والأجدر أن تلتف حول مأذبة الله ، حول مائدة القرآن العظيم : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ويشير المؤمنين الذين يعملون انصاحات أن لهم أجرا كبيرا ﴾ [الإسراء : ٩] . هذا هو طريق السعادة ، حيث لا طريق غيره ، إنه طريق الحق والخير والنور .

والله اهدنا وسدد خطانا واجمع شملنا ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

إذا كان هؤلاء الصهاينة يجمعون حول التوراة ويقتلون باسمها - وهم قلة أبناء الله ، ومغفروا كتبه ، ومحرفوا الكلم عن مواضعه - فأول بنا وأجدره معاشر المسلمين ، أن تكون أمة قرآنية تتجمع حول القرآن وتنخلق بخلق القرآن ، وترفع راية القرآن عليه خفافه ، فهو جبل الله المتين ونوره المبين ، والهادي إلى الصراط المستقيم . والناس من حيث القرآن أربعة أقسام ، تدور حول القراءة والعمل ، يذكرهم الرسول الكريم ، ويضرب لكل مثلا يأخذ بالآليات فيقول : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأثرجة : ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل القرة : لا ريح لها ، وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة : ريحها طيب ، وطعمها مر .. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحظلة : ليس لها ريح وطعمها مر » .

إن التجمع حول القرآن هو تجمع بين أئمة المسلمين لأنهم يتعاملون من مطلق العقيدة الإيمانية التي تشع نورا يذيب نفوس الناس ويحسن أخلاقهم فالأمة القرآنية تنخلق بخلق الله وتنادب بأدب رسول الله ﷺ القتل : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » والذي أخبرت عائشة عن خلقه فقالت : كان خلقه القرآن وقال صلوات ربي وسلامه عليه : « ليس شيء لي الميزان أثقل من حسن الخلق » ، وأخذنا في سماع الزمان مدونة بجليلة : « إنكم لن تعلموا الناس بأموالكم فسومهم بأخلاقكم » .

أو ما رأيت إلى الرسول ﷺ يعلن هذه الحقيقة لأصحابه ذات يوم فيقول : « ألا أخبركم بأحبكم إلى الله قننا : بل يا رسول الله » قال : « أحبكم إلى خلقه » ؟ .

ثم ألا سمعته وهو يكرس هذه الحقيقة في قوله : « حسن الخلق يذهب الخطايا كما يذهب الماء الجليد ، وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الحل الصل » .

واعلم بالأسى أن أحبنا إلى رسول الله ، وأقربنا منه مجالس يوم القيامة : أحاسنا أخلاقا ، الموطأون أكفأ ، الذين بالفنون ويؤلفون . فالدين والأخلاق صنوان لا يقسم أحدهم عن الآخر .

سيدى أبا القاسم يا رسول الله .

يا من له الأخلاق ما تهوى الغلا منها وما يتعشق تكبراء زانك في الخلق العظيم شمائل يغري بين ويولع نكرماء يوم يقود شاة الأمة على الدين والأخلاق ، سيرتفع ساؤها بمطامح اجراء ، ويزاح لنفس في الخلاء ، ولن تستطيع أية قوة على وجه الأرض أن تال منها أدنى نيل . ويوم تنقسم الأمة عن الدين وتجال الخلق وتبعد عن الصراط المستقيم فلا بقاء ولا حبة ولا سلفاء على الأرض .

ولقد صور الرسول ﷺ الصراط المستقيم تصويرا يدعو إلى التفكير المستمر ، و حديث جامع قوى ، فقد روى ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ضرب الله مثلا صراط مستقيما ، وعن جانبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعن الأبول ستور مرخاة وعد رأس الصراط داع يقول : استقيموا عن الصراط ولا تعوجوا ، وفوق ذلك داع يدعو كلما هم عبد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال وبمك لا تفتح ، فإنك إن تفتحته تلج : ثم لفسره ، فأخبر أن الصراط هو الإسلام وأن الأبواب المفتحة محارم الله ، وأن السور المرخاة حدود الله في قلب كل مؤمن » .

تأمل هذا الحديث الشريف ، وكيف يبين أن الإسلام ، وكلمة قرآن كلامه ، حذان به الأمة إلى طريق سحاة ، والبرة والكرامة ، كما قال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه « لقد كنا أولاء فأعزنا الله بالإسلام ، وإذا ابتغينا العزة في غيرة أذلنا الله » .

ما أعظم بسيدى يا رسول الله وما أحمل بياك حين تمثل المصوبات المحسومات . وحين تشبه العقول بالآشياء المشاهدة : الصراط المستقيم هو الإسلام . والداعي غير رأسه هو القرآن . والأبواب المفتحة هي محارم الله ، والسور المرخاة هي حدود الله . إن الإنسان لو أوتي سحر انبيان الذي تحمله العقائقة ، ومنع رهبة من خبة ، وأعصر فسرة التصوير عن التعبير : توقف أمام هذا الحديث الشريف رافعا الراية البيضاء تسبيح واذعابا صاحب اسلافة في أنس طبقاتها ، فقد وضع الأمر خير توضيح : سلام لا إعرح فيه ، طريقه راصحة ، منهجه قويمه مستقيمة ، مسالكه آخذه إلى صديق الرضو . والسعادة وروضات الجنان ، في أصول عقائد قوة ، وفي شعائر عبادته تركية وطهرة . وفي مبادئ قوائمه رفعة وعظمة ، وفي قواعد نظامه سمو وإرتقاء ، وما ورفعة وساء

أثر العقيدة في حياة المسلم

يا أمة الإسلام : إن من القوانين العلمية المقررة التي لا تقبل الجدل : قول علماء الميكانيكا : لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ، مضاد له في الاتجاه . وإن هذا القانون يظن على موقف المسلمين من اليهود ، فإذا كان اليهود يحاربون عقيدة فإن حرب العقيدة لا تقابل إلا بسنلها ، أى حرب عقائدية : فإذا كان هؤلاء الصهاينة يتجمعون حول التوراة ويقائلون بأسمها - وهم قلة أنبياء ، ومنفرون كمنه ، ومحرفو الكلام عن مواضعه - فأولى بنا أن نحارب عن عقيدة الإسلام ، رافعين راية القرآن : فالعقيدة انتصرت جيوش المسلمين ، وبالعقيدة اندحرت حموع المعتدين ، وبالعقيدة فقد سعى بن معاذ أنسن الضرب - وكان قد فاتته شرف الجهاد يوم بدر فأقسم أن لا تقوته غزوة مع رسول الله ﷺ إلا وجاهد فيها - لقيه يوم هتف الدعى للجهاد ، يوم أحد ، وأعد الرسول العدة لقتال المشركين ، يومها لقي سعد أنس بن الضمر وسأله : إني أين يا أبا عمر ؟ فقال : واهاً : لربح الجنة ، والله إني لأحد ربحها دون أحد ! ونزل البطل المنوار حومة الوغى ، وساحة القتال ، وطارت عبي شفرة سيفه رؤوس منوها الجيروت والظلم ، وهاج في وسط المشركين كما بهيج الجمل لأوراق ، وزائر فيهم زئي الأسود إذا دبس عريتها . وكان له شرف الاستشهاد في هذا اليوم

أندرى يا أخا الإسلام كم كان في جسده من الضرب ؟ لقد وجد في جسده ثمان وثمانون ، ما بين خربة بسيف ، وطعنه برمح ، ورمية بسهم ، حتى لقد شنق عليهم أن يعرفوه من كثرة جراحه ، وما عرفوه يومها إلا أخته : عرفته ببيته وبنانه . فماذا كان موقف السماء من هذا الشهيد البطل الذى نزل أرض المعركة والقلب ملئ بقوة العقيدة ، والفس تشوق الى النعيم الأبدى حيث الروضات الياسمات ، والضياء والسكون المقيم ؟! لقد هبط سفير الأنبياء وكبير أمناء وحى السماء بجوب الأفاق وبضوى بأجنحته السبع الطباق . هبط على رسول الله ﷺ آمين الأرض والسماء ببرقة عزاء قرآنية عاصرة شيع بها روح الشهيد الطاهرة ، إنها قول الله تعالى :

والقرآن لا يكف عن الدعوة والنداء داعياً إلى المسابع الربانية ثم قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴿ وقد وضع القرآن نبلاء حرمت الله وحدود دينه . وفي أثناء الحارم أرفع درجات العبادة ، كما قال أبو هريرة في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال : من يأخذ منى هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن ؟ قال أبو هريرة : قلت أنا يا رسول الله ، فأخذ يدي وعد خمساً ، قال : اتق الحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب . . . هذه مكانة محارم الله : من اتقها كان أعبد الناس . . . ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴿ .

أرأيت كيف جمع الحديث الشريف في كلماته بين الإسلام ومحارم الله وحدوده وقرآنه المجيد .

تلك هى معالم طريق النجاة : الاعتصام بحبل الله المتين وسنة رسوله الحبيب وجعلهما عقيدة ومنهاجا إلى يوم الدين . .

فالصلاة والسلام عليهما يا رسول الله يا من بعثت رحمة للعالمين وحددت لهم المسامح القويم ليسودوا به على العالمين . .

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه : فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

فإذا ما لقيت بأخى باظربك وبعبيرت هذه البرقية العظيمة الخالدة الفواحة بأريج الجنة ، رأيتها سجلت لهذا الشهيد وأمثاله من الشهداء الأبرار والأبطال الأنهار ، سجلت ثلاث صفات ، وقررت ثلاث سجايا من أكرم السمات وأطهرها وأظهرها هي الإيمان ، والرجولة ، والوفاء ، من المؤمنين ، هذا هو الإيمان ، رجال ، تلك هي الرجولة ، صدقوا ما عاهدوا الله عليه هذا هو الوفاء .

وبالعقيدة يرسل الرسول - ﷺ - زيد بن ثابت - رضي الله عنه - ليتفقد سعد بن الربيع بين القتل يوم أحد لبغته السلام من رسول الله ، إن كان على قيد الحياة ، فيأدى زيد على سعد ، فيجده بين حراجه ، ودمايته التراكبية الطاهرة ، فيقول له : يا سعد : رسول الله يقرئك السلام ويقول كيف نجتك ؟ فنقول سعد : وعلى رسول الله السلام ورحمة الله ، أجد ريق الجنة ، ثم يقول سعد لزيد من ثأث : أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد له حراك من عن إسلامه حيرا ، ثم يؤكده العيون ليريد فيقول بلغ أصحابك : ألا لا خير فيكم إن حلف إلى رسول الله - ﷺ - وفيكم عين تطرف !!

فانظر إلى هذا الشهيد البطل وهو يردع هذه الدنيا ويستقل دار الخلود والعيم المقيم ، يودعها وقلبه مشغول برسول الله ، يودعها ولسانه يلحج بالثناء على رافع راية التوحيد ، يودعها وهو يوصي زيدا وأصحابه أن يكونوا أذانا ساجية ، ونفوساً واعية وجندا يقظين حول رسول الله - ﷺ - ينفذونه ويحفظونه ويحافظون عليه .. وبروح العقيدة تستقل أبواب الجنات سعد بن الربيع ليسلك مدارج الأنوار ، ويقف على حقائق الأسرار ، ويعيش في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وبروح العقيدة يرى هذا الأعرجي بأخي فيبايع رسول الله - ﷺ - على المحررة ويحضر يوم خيبر ، ويقسم له رسول الله - ﷺ - من الغنم ، فيأبى أن يأخذ شيئاً ويقول لصاحب الرسالة المعصية : ما على هذا اتبعك يا رسول الله ، وإنما اتبعك لأرضي بسهم فأقتل فأدخل الجنة ! ويأبى أن يأخذ من الغنم ويرفض رفضاً قاطعاً . ويلحصر اتباعه للشيء - ﷺ - في كلمات مؤوها بالإخلاص والوفاء والوفاء ! ثم ينزع إلى

- ﷺ - الدنيا بهيها ، وإنما اتبعه ليموت شهيداً فيكون عبد الله في قوة يسير أمواتاً ، وإذا جُبل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴿ آل عمران : ١٦٩ - ١٧١] .

فما كان رد الرسول - ﷺ - على هذا الأعرجي الذي دخل تاريخ الإسلام من أشرف أبوابه وأوسعها ، قال له سيدنا رسول الله - ﷺ - : إن تصدق الله بصدقته ، وهنزل ذلك الأعرجي المعركة بعد ما حست الألسنة ، ونظفت الأسمه ، وحطت السيوف على مسار الرقبه ، وأقدمت الرماح على اخفضط الحجاب .. ثم يرى هذا الأعرجي وقد وقع شهيداً ، فيؤق حسامه حناجر إلى رسول الله - ﷺ - ، فيسأل الرسول - ﷺ - : (هو هو ؟) فيثب : نعم يا رسول الله ، فيقول سيد رسول الله - ﷺ - : صدق الله بصدقته .

زنت كيف هانت الدنيا وهان ما فيها أمام قلب عرف الله فأحبه ؟ سحرت ربي ! نظرة من فيض جودك تملأ الأرض رباً ، ونظرة بعين رضاك تجعل الكرم ولياً .

لعمرك : ما الإنسان إلا ابن دبه فلا تترك اتكالا على نسب
لقد رفع الإسلام سلمان فارسي وقد حظ بالشرك السبب أو لهب

زنت كيف أن العقيدة تسير العزم وتحرك الجب الشواخ ؟ إن ما حيراه من أمانة إن هو إلا عيش من فيض ، وحره من كل ، وقطرة من بحر ، وسفر من قسطنطين في هذه الباب مراتب لا تحصى ، ومراق لا تستقصى . فمن أحذه أحد خط وافر إن شدة من رضا الله يفضي غضب منك أهل الأرض . وإن الحفنة من عنه ترهز الروح ، ولو حمت في نعيم الدنيا .

كيف كان هؤلاء : أشير كانوا ملائكة ؟ كانوا بشر ، وذكر الله أنبياء ، والشفقة كرهه ، والخرق وقيهم . والعمه سلاحهم ، والصبر دئهم ، والرضا عيبتهم ، والرهه حرقهم . واللبس قوتهم . وصدق شفيعهم ، الطاعة حبسهم ، والجهاد حنقهم . وجعلت قرة عيبت في صلاة ، مرضى الله عنه ورضوا عنه : ﴿ وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

فانهم ثبت فنوما على ديك واعمرها باليقين والعقيدة الراسخة التي تحمها بحق حبر أمة أحرحت سائر . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين

بهذه الروح انتضر المسلمون

مازلنا نواصل مراجعاً في أرحاء العقيدة العالية الطاهرة الشريفة التي حققت النصر للمسلمين ، ورفعت راية التوحيد عالية حفاقة عبر المصور والأحيال وجعلت المسلمين سادة الأمم والشعوب بمقيدتهم البينة الراسخة .

ووما هو عبد الله بن حذافة يقف أمام قبعر الروم . فماذا قال لسان العقيدة وقلوبها الجياش بوراينيس ؟ ماذا قال هذا الصبي مترجماً عن هذا الملك لملك الروم ؟ لترك البيهقي وابن عساكر يروون هذه الحادثة : عن أبي رافع قال : وجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه جيشاً إلى الروم وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة من أصحاب النبي ﷺ ، فأمره الروم ، فذهبوا به إلى ملكهم ، فقالوا له : إن هذا من أصحاب محمد ، فقال له الطاغية : من لك أن تنصر وأشركت في ملكي وسلطاني ؟ فقال له عبد الله : لو أعطيت ما تملك وجميع مملكته العرب علي أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت قال : إذا أفلك . قال أنت وذاك . فأمر به فسلب ، وقال للمرأة : أرموه قرباً من يديه ، قريباً من رجليه ، وهو يعرض عليه ، وهو يأبى ، ثم أمر به فأمر ، ثم دس يده فمس به ، حتى احترقت . ثم دعا بأربعين من المسلمين ، فأمر بأحدهم فألقى فيها وهو يعرض عليه الصراية ، وهو يأبى ، ثم أمر به أن يلقى فيها ، فلما ذهب به بكى . فقيل له إنه قد بكى ، فعلن أنه جزع ، فقال ردوه ، فعرض عليه الصراية فأبى . فقال

ما أبكاك إذا ؟ قال : أبكاك أنى قد قلت نفسي : تلقى هذه الساعة في هذه القدر فذهب ، فكنت أشتكى أن يكون بعدد كل شعرة في نفسي تلقى مثل هذا في الله ! قال له الطاغية : هل لك أن تقبل رأسي وأخلى عنك ؟ قال له عبد الله : وعن جميع أسارى المسلمين ؟ لا أبأى ! صد منه فقيل رأسه ، فدفع له الأسارى . فقدم بهم على عمر رضى الله عنه ، فأخبر عمر بخيرة ، فقال عمر : حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة ، وأنا أبداً ، فقام عمر ، فقبل رأسه .

حفا : إنها لعقيدة الراسخة التي جعلت الباطل يذعن أمام الحق واعتبر أصحابه به بالثبات على نعماء ، إنهم حاربوا مدرسة محمد ﷺ التي تخرج منها المصح لمعلم كافي بكر والزعيم منهم : كعب ، والحبي الكريم : كعبان ، والعقري الفذ : كعب ، والمنفى الأخير كعب بن عباس ، والمنترس القدير : كعب بن عمرو ، والقائد الجبار كعبه ، والزاهد الخليل : كافي ذر ، واخذت الكبير : كافي هريرة ، والفقيه جوع كاس مسعود ، والعلل الخوار : كالزير ، والماجح العظيم : كعبه ، والحكيم البارح : كعبان

إنهم أصحاب محمد الذين قال الله فيهم : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ، يفتنون فضلاً من الله ورضواناً ، سيحاهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومنهم في الإنجيل كرور أعرج شطاة فأزروه فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغط بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيماً ﴾ [الفتح : ٢٩] .

بهذه الروح انتضر المسلمون ، وبها كانوا دائماً حمزة مشاغل الهدى . لا نواكل ولا تكاسل ، ولا فرقة ولا تخاذل ، وإنما عمل دائم وجهاد .

مستم : عرفوا للزمان قيمته ، حتى إذا جاءهم البدير بأن هناك خطر داهم يوشك أن يهزل به ، استعدوا ووزنوا الزمان بأدق من ميزان الذهب ، فصاروا مضطحين ، وعصوا أن الطائفة التي تكذب الإنذار سوف يأمون الليل ، حتى إذا ما ذهبت السكر ، وحلت الفكرة ، وانفض السوف ، ندموا ، ولات ساعة منده : ألا فلتعلم البشرية أن مطلق دنيا الناس مبني على القوة ، وأن الضعفاء لا مكان لهم على مواقد الأقباه ، فإن لم تعمل بهذا الصبح الغال الذي وجهه إلينا سيدنا رسول الله ﷺ في قوله : « مثل ومثل مايشى به كمثل رجل ألقى قوماً فقال لهم : لقد رأيت الجيش بمعنى وأنا فجروا ، وكذبته طائفة فصحبهم الجيش فاجتحمهم » .

إذا لم تعمل بهذا الصبح فلا نك من إلا أفسا . فقله صلوات ربي وسلامه عليه : (رأيت) - ثم بعد ذلك (بمعنى) . ولا تكون الرؤية إلا بالمعنى . ثم قوله « وأما البدير العريان » ولا تطلع البدير ثيابه إلا إذا كان الخطر شديداً ، والحطب فادحا ،

القرآن يحذر عن انحراف القوى النفسية

لما كانت الإنسان كثيراً ما تنزله الأوامر والنواهي والتذكير والموعظة ، ثم يسي ، فإن الكتب العزيز غايه هذه الناحية فيه ، فذكر كثيراً منه وأرشد : وبين نواهي وعهد ونور انوعده بسط القرآن الكريم أصواره ليحذر من انحراف ويحذر بالحق ، بل كان السلف صالح رضوان الله عليهم نحى أصلاهم على آخره من القرآن في حرم الليل ، كمن مر أحدهم بآية نشر بنحة بكى شوقا إليها ، ويد مر بآية نذر عذاب شوق شهقة كثر في غير هذا ، فكانت آية الله في خوف الناس ، كانوا قليلا من الليل مل يصعبون وبالأصغار هم يستغفرون . وفي أموالهم حق مسائل واخروم [مداريات : ١٩] .

إذا كانت دراسة الأحرف يتكلمون عن القوى العنسية والشهوانية بعقوبة ، ويتكلمون عن سمات النفس ، وهي العدل والشحاعة ونعمة والحكمة ، وجمعونها تدور حول هذه القوى . وهذه هي نفساً عنه فضيلة نعمة ، واعتدال القوة العقلية بالذات : فالقوة العنسية قد تنحرف فتشأ عنها ذليلة تنهز ، والقوة الشهوانية قد تنحرف فتشأ عنه ذليلة بإغته ، عن الأعراض ، والقوة العقلية قد تنحرف فتشأ عنها رذيلة العت .

ونقد بين القرآن الكريم نتيجة انحراف القوى ، ففقرت بين الحرائم التي قد نشأ عن انحراف قوى وحرصها في سمات أكثر التي هي الله عب وحذر من قرأ . قرأ القرآن الكريم بفقر بين جرمين القتل والزنا ، وهما ناشقان عن انحراف القوى العقلية والشهوانية ، بفقر بينهما في ثلاثة مواضع .

أولها : في سورة الأنداء في قوله تعالى : ﴿ ولا تقرّبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقربوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾ [الأنعام : ١٥١]

وثانيها : في سورة الفرقان حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ واللذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يسلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾ .

والغن مدغمة . والبس أمام هذا الإنذار فريقان : فريق استغل الوقت استفلا لا طيبا فساروا أول الليل لكي لا يفهم ركب السير ، فنجوا ، ولم يستطع العدو أن يدركهم بقوته ، لأنهم أخذوا الأبهة واستمعوا الاستعداد كله ، وأما الطائفة المكذبة فإنهم ناموا وأخذت أطيايف الكرى تنزوا أحناسهم ، وأحنوا إلى الراحة والكسل ولم يعد للأمر عدته ، ولا تأمن مكر الأعداء .

لقد أكد الرسول ﷺ هذا المعنى عندما نادى على القبائل وهو فوق العضا : أراهم لو أخبرتكم أن خيلا وراء هذا الوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدق ؟ قالوا : نعم والله ما جربنا عليك كذبا ، فقال : إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة . ثم إن الرسول وهو يدع صانه هذا يؤكد صدق قوله فيقول لعمر : إني الرائد لا يكذب أهله : وحاشاك يسدي برسول الله أن يتطرق الكذب إلى كلامك .

ثم يكرس الرسول ﷺ هذه الخفيفة ويرسي دعائه هذه المبادئ : يقول : والله فموس كما تاملون ، ولتبعن كما تستيقظون ، ولتحاسن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا ، وإياها لجة أبدا أو لار أبدا .

إن مواكب الذكريات الحسنة تادى : لا أحبوا داعي الله وأمواله ، ونذكر أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا أنه صلح به أولها : اليقظة بدل العتة ، وبعث روح الحذر إذا حاول الإهمال أن يذهب في الفسوس : لقد قدمت إسرائيل على مسمع من الدنيا واجتمعت الأمم ، وانفضت مبرات ومبرات . وإسرائيل تبني وتشييد : اجتمعوا أمة الحفاظ على السلم ! وهل حفظ السلم .

وهل رفع الحق الدليل جهه ؟	وهل نحن بتنا لا يروعا الظلم ؟
سمعنا كلاما لذ في السبع وقعه	ورب لذيد شاب لذته السم
أما في كالأحلام : زحفها الكرى	وقل على الأيام أن يصدق الحلم
أرى الدول الكبرى لما العم وحدها	وقد عادت الصغرى على رأسها الغرم
منى عفت الذبان عن خم صيدها	وقد أمكنتها من مقاتلتها الهم
كل شعب : ضائع حقه مدى	إذا لم يؤيد حقه المدفع الضخم

يأيت قومي يعملون بأن نداه رسول الله ﷺ يجب أن يأخذ طريقه إلى الأذان يندى وبجلجل ويقول : لقد رأيت الجيش بعيني وأنا الديور العريان .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وثالثها : في سورة الفرقان حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ .

أما القوة العقلية ففي اعتدائها فضيلة الحكمة ، وفي انحرافها رذيلة العيث ، وإنما ينحرف العقل عندما يستعمل في غير ما خلقه الله له ، حيث يضرب ويتخطى في مجال لا يعرف حقيقته ولا أوله ولا آخره . كما حدث لبعض الفلاسفة الذين أجهلوا عقولهم بغية الوصول إلى « حقيقة الغيب » - أو ما يسمونه بما وراء الطبيعة - فكانوا إلى الوثنية أقرب وعن الحقيقة أبعد مما بين السماء والأرض ، لأن محيط ما وراء ما وراء الطبيعة أعنف من أن يحجز عنه ساح ماهر .

ولذلك جاء الحديث مخفرا من هه : يقول رسول الله ﷺ : « تفكروا في آلاء الله ، ولا لتفكروا في ذات الله فتفكروا » .

روى عن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال : « ما جهل الناس ، ولا اخلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس » .

لقد أراد أرسطو أن يضع طبيعة ، وما وراء الطبيعة للسان البشري ، فاندفع كل الإبداع تسبقا واسحاذا ، وأحن صدقا وانجاها ، فكان مثله كمثل اللوحة الرائعة البراقة ، والسراب الخادع ، فقاد الإنسانية إلى انحراف هائل ، وإلى اضطراب في الفكر وفي العقيدة لا حد له .

ولا ريب أن الإنسان منذ أن وجد معه روح من أمر الله وهو الوحي : برشده ويديه وبين له المبادئ والقواعد في المسائل التي لا يصل إليها تفكيره البشري إلى حل فيها ، وهي مسائل ما وراء الطبيعة ، والإنسان عموما يتفكر في الوحي ، ويريد أن يعرف العلل والحكمة ، ويريد أن يصل إلى السر ويكتنص الغايات . ولكن ما أجل قوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر عل غيبه أحدا . إلا من أوتى من رسله فإنه يسلط من بين يديه ومن خفيه رسدا . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ﴾ : فإلم الغيب إنما هو حصر محجور بالنسبة للعقل البشري ، وتقدس عالم الغيب عن أن يمسك بمفتاحه ، أو يكشف عن مسأله ، إلا من أذن له الله من نبي مكرم أو من رسول مآذون .

إن نظرة بسيطة في موقف « أرسطو » فيما وراء الطبيعة وفي حوار الصديقين رضي الله عنه بين لما مدى إحدائق أحدهما وحيدة الآخر : فأرسطو استعمل العقل في غير مجته ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يسأل : « بم عرفت ربك ؟ فبقول : عرفت ربي ، وأولادى ما عرفت ربي ! هل فكيف عرفته ؟ قل : انحر عن إدراكك ، إدراك ، والبحث في ذات الله إشراك .

وما أحمل ما قاله علي رضي الله عنه حين قال : إن كنت العيون لا تراه مشاهدة العيان ، فإن القلوب تادركه بحقيقة الإيمان سبحانه ربي لا يترك بالحواس . ولا بفاس بالناس ، فوق كل شيء وليس تحته ، وهو في كل شيء لا كشيء ، ﴿ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى : ١١] .

فما أحمل وأروع وأعظم وأحكم وأسلم هذه العقول التي عرفت لكل شيء قدره ، فأصدرت حكمها عدلا وصدقا ! وقد سأل بعض الماديين الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه فقال : هل أعبرت ربك ؟ قال الإمام : سبحانه ربي ! لا تادركه الأعين . قال : من أحسنه أحد حواسك ؟ قال الإمام : سبحانه ربي ! ليس كمثل شيء . فقال بسائل : فإني لم تكن أحسنه ولا أبصرته : فمن أين تست أنه موجود ؟ قال الإمام : بأهله : هل أعبرت عقلت ؟ قال : لا ، قال : لا قال الإمام : آت عرقه بمجون ؟ قال له : أءعقل . قال الإمام : فأين عقلك ؟ قال : موجود ، قال الإمام : كذلك من حل حلله موجود .

وهكذا تدين لغصاحة والحكمة في مثل هذه المجالات نحي تحتاج إلى مستعمل المعطق تسديد وانرد الوتيد :

قولون : أين الله أين عجائبه ؟ وإذا الكون سفر ناطق وهو كانت بشكون والإيمان ملء قلوبهم ولكن جهل المرء لا شئت غالب

كذلك يريد الإسلام من العقل أن يفتح للناس في شتى العلوم الكونية ما يعود على البشرية من نفع . فاسألوا التاريخ عن أجداد الإسلام : عن علم الضوء وصناعات لابن الهيثم ، وعن مكتشف الدورة الدموية وهو ابن النفيس ، وعن كيمياء بن حبان ، ورياضة الخوارزمي ، وطلب ابن سناء ، وعلم الحيوان والنباتات للجاحظ ، والتفاضل

والكامل ثابت من قره ، وانملك نيباني : اسألوا التاريخ عن هذه الأجداد ، وكيف
سلطت في سماء العلا ؟ إنهم حرموا مدرسة الإسلام العظمى الذين ظلموا كالكواكب
الدرية نضى للناس في لجج البحار .

اللهم وفقنا لما نحب وترضاه ، واحملنا ممن يستمعون القول فيفتنون آحتته وصل
الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

القرآن طريق العصمة من خطوات الشيطان

طريق القرآن معصوم ، لأنه : ﴿ لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد ﴾ [فصلت : ٤٢] ، وقد شهد للقرآن أعداؤه شهادة يعرف للحق
مها أوليد عظيم مكة يسمع من الرسول ﷺ آيات بيوت فيقول : لقد سمعت من
محمد كلام ما سمعت مثله قط : إن له حلاوة وإن عبره لغلاوة ، وإن أحلاه لشعر
وإن أسفه سدف ، وإن يعنو ولا يعل عبه .

ويقول مستشرق « مار مديوك بكسال » : يكفى الإسلام غبطة أو أسحابه ظلوا
ثني عشرة مئة في اضطهاد وتغذيب بين مكى الأسد ، ومع ذلك كانوا يرمون ولا
ينقصون ! ويكفى كذب الإسلام جلالاته مضى عليه أربعة عشر قرنا من الزمان لم
يصب أسوره بخلاف ، بل ظل غصبا نديا كان عهده بالحياة أمس .

وهكذا نطق الأمواه للشمس بأنها مصدر النور والحرارة ، لا يكر ذلك إلا حاحدا
أو مكابر وسي الإسلام الذي بهذا الكتاب المصنوم فهو معصوم أيضا ، وقد شهد له
لأعداء أيضا شهادة حتى إن يستغيثوا بحجروا أو يبدؤ فيها : فيها هو أبو سفيان من
حرب - فن أن يدخل الإسلام - يعتقد « هرقل » غنبة الروم معه اجتمع سارنا للظفر
في شأن سي الإسلام بسأته عن كل ما يتصل به ، فإذا ، كانت الأمية ؟ وكيف
كانت الإجابة .

أنقل بكم الآن إلى البلاط الروماني فيقصرى لشعر هذا الاحتجاج عن الطبيعة ،
ووكالات الأنباء التي أذاعت هذا الاحتجاج غاية في قوة التصديق ، فإياها وكالات الإماء
البحارى .

« عن عباس رضى الله عنهما أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب
من قريش وزكناوا غارا بالشام في المدة التي كان الرسول ﷺ مادا فيها أبا سفيان
وكمار قريش ، فأنزله وهم بأهلياء ، فدعاهم إلى مجلسه وحوله عظماء الروم ، ثم دعاه
ودعا بالترجمان فقال : أيكم أقرب نسبا لهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال

أبو سفيان : فقلت أنا أقربهم نسبا ، قل لهم إن سألني هذا الرجل ، فإن كذبت فكنذبه ، فوالله لو لا أن يؤثروا على كذبا لكانت عليه ، ثم كان أول من سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فيها ذو نسب . قال : فهل قال هذا قول أحد منكم ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آباءه من ملك ؟ قلت : لا . قال : أيزيدون أم يقتصون ؟ قلت : يزيديون . فهل يرتد أحد منهم سخطا لديه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تنهونهم بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا : ونحن لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال : ولم يمكنني ولم يمكنني كلمة كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم قال : كيف قاتلكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبه صلح . بنال منا ونالهم . قال : بماذا يأمركم ؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباءكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والبصلة . فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسب فزعمت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك : هل قل أحد منكم هذا القول قبله لقلت رجل يقول قبل قلبه : وسألتك : هل كان من آباءه من ملك ؟ فقلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك : هل كنتم تنهونهم بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليلدر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك : أشرف الناس اتباعه ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاؤهم اتباعه وهم أتباع الرسل ، وسألتك : يزيديون أم يقتصون ؟ فذكرت أنهم يزيديون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك : أيرتد أحد منهم سخطا لديه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك : يم يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والبصلة ، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موقع قدمي هاتين ، وكنت أعلم أنه خارج ، وما كنت أبين أنه منكم ، فلو أعلم أن أحصل له لتجشمت لقائه ، ولو كنت عده لفلسفت عن قدمه .

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعثه مع دحية رضى الله عنه عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل ، فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك

بدعوة الإسلام ، أسلو يؤتلك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم المرسلين . وبأهل الكتاب نعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا نعبد إلا الله ولا يشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا شيئا يأمركم به مسلمون .

قال أبو سفيان : فما قال ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الحسب ، وارتفعت الأصوات وأحرسا ، فقلت لأصحابي حين خرجنا ، لقد بلغ من أمر ابن أبي كبشة أنه يصفه منكم بن الأصفر ، فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى يدخل الله على الإسلام .

إن هذا الحوار الذي دار بين هرقل ، وه أبي سفيان ، أهام كان أبو سفيان على الشرك تردد بين عدوين للرسول محمد وللإسلام ، وقد قالوا : « الحق مشهدت به الأعداء » . إنه حديث لا يصلح أن تلوكة ألكسنة أو تتحرك به الشفاه دون أن تميز غورة ، وتتمتع في مكتون سره ، فإنه يعتبر وثيقة تاريخية خالدة ، ما تعدت الملوان واحتلف المحدثان .

إياها عشرة أسئلة رد عليها بعشرة أجوبة . ثم تبعها نتيجة من هرقل ، لو كان يستطيع أن يخلف إلى رسول الله ﷺ لنحتم الوصول إليه لفضل عن قدمه : فأقرأ هذه الوثيقة مرة ومرة فإياها نفق وشخصية لأعظم إسان عرفه العالم وهو محمد بن عبد الله ﷺ : ولسى الإسلام شهد الكاتب الإنجليزي « رناردوشو » شهادة لحصلت مقاييس العظمة في سيدنا رسول الله ﷺ . قال « شو » : لو كان محمد بن عبد الله يشا في القرن العشرين لحل مشاكل العالم زينا بتعاطى فحان من القهوة

ما ثمة أدنى شك في أن طريق القرآن معصوم من الرل والخطأ ، وأن سى الذى جاء بالقرآن معصوم قال سبحانه : ﴿ قد جائكم من الله من نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه السليم السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ . [المائدة : ١٦] ، ونظرة في كتاب الله . وفي رواية بالذات - تجعلك تقف أمام عماره وقد أخذت الدمشة واستولى عليك المنح فارة تذكر أوائل السور وصفا لهذا الكتاب ، ونارة أخرى وصفا لله الذى أنزل هذا الكتاب . وإليك التطبيق لهذه القاعدة .

يقول الله في شأن هذا الكتاب : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ [البقرة : ٢] ، ويقول في وصف ذاته الأقدس — وهو الذي نزل عليك الكتاب بالحق ويقول لي وصف الكتاب : ﴿ تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ [يونس : ١] ، وفي وصف الكتاب ومزله : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [هود : ١] ، وفي وصف الكتاب : ﴿ تلك آيات الكتاب المبين ﴾ [يوسف : ١] ، وقال : ﴿ تلك آيات الكتاب ، والذي أنزل إليك من ربك الحق ﴾ [الرعد : ١] ، وقال : ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ [إبراهيم : ١] ، وقال تعالى : ﴿ تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ [الحجر : ١] . وقال تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، فيما لبذر بأما شديدا من لدنه ويشر المؤمن الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ﴾ [الكهف : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ تبارك الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ [الفرقان : ١] ، وقال جل شأنه : ﴿ تلك آيات الكتاب الحكيم . هدى ورحمة للمتقين ﴾ [السجدة : ٢] ، ثم يؤكد مصدره فيقول : أول سورة السجدة : ﴿ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ وفي سورة [يس] يصفه بالحكمة فيقول : ﴿ يس . والقرآن الحكيم ﴾ [يس : ١] ، وفي سورة [ص] يصفه بأنه صاحب الذكر فيقول : ﴿ ص . والقرآن ذي الذكر تنزيل الكتاب ﴾ وفي سورة غافر يصف من أنزله بالعمة والعم : ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ . وفي سورة [فصلت] يصف من أنزله بالرحمة المطلق : ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ وفي سورة [ف] يصفه بالحمد فيقول : ﴿ ف . والقرآن الحميد ﴾ . وفي سورة [الرحمن] يمتن على عباده بأعظم منة وهي تعليمهم القرآن حتى يلمس أعظم هذه النعمة أن قدمها في الذكر على خلق الإنسان قال سبحانه : ﴿ الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان ﴾ وفي سورة [الحج] يأتي الموقف الرابع والشهد البدع حيث تلتف الجموع حمية من الحن تستمع إلى القرآن الكريم فيزل منها منزل فغلرات البدى على الرهرة الصمأى ، يتناظر نوراً ورحمة ، ثم وصفوه ؟ قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى إلى الرشدا ، فأما به ، ولن نشرك بربنا أحداً .

ولقد كان لهم شرف حمل الدعوة إلى قومهم بعد أن أعطوا هذا الكتاب حقه من

حسب الاستماع والتأدب في مجلسه ، فلهذا من مآدبة الله الكريم ما استطاعوا . قال جل شأنه : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن : فلما حضروه فهم أنصتوا . فلما قبضى ولوا إلى قومهم مذوذين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من عند موسى مصدقا لما بين يديه . يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجبوا داعى الله وأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾ [الأحزاب : ٣١] .

فالله أحسن القرآن العظيم ، ربيع قلوبنا ونور صدورنا واجعله الهادى لنا . الصراط المستقيم وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

القرآن واثره في سلوك المسلم

تحدثنا في المقال السابق عن عظيمة القرآن الكريم وكيف وصف الله كتابه بصفات كثيرة تدل على عظمته منزله وامتن الله علينا في آيات عديدة بأعظم منه وهي تعليمنا ذلك القرآن عن طريق رسوله الحبيب

ونواصل حديثنا فنقول - وبالله التوفيق - إذا ما نظمت هذه الصفات للكتاب الكريم في عقد فريد رأيتها في مجموعها تحكم له بالحكمة والذكر والمجد والاعظام والهدى والبشرى والرحمة وإخراج أساس من العظلمات إلى النور ، ورأيت هذه الآيات في فواتح السور تربط بين صفات الله تعالى وصفات كتابه الكريم ، وتصف الله بصفات الكمال التي تلقى بذاته الأقدس ، وتحكم بأن تنزيل الكتاب - أن الكتاب المرسل من عند الله ، الموصوف بأنه الحي القيوم ، وبأنه العزيز الحكيم ، فإذا كانت هذه الصفات صفات الكمال ، وجمعت للكتاب نفسه هذه الصفات الكريمة ، فضلا عما احتوته الآيات البينات إذ ما عشت في محار القرآن .

إنه أمر لا يحصى عد ، ولا يحيط به حد : فأنه قوله الحق ، والقرآن كلام الله ، الواجب له كل ما يليق بذاته . والله نور السموات والأرض ، والقرآن نور : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ [النساء : ١٧٤] ، والرسول ﷺ نور : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٦] .

فمن سلك هذا الطريق جعل الله له نورا في قلبه ، ونورا في سمعه ، ونورا في بصره ، ونورا في عظمته ، ولحمه ، وجعل من فوقه نورا ، ومن تحته نورا ، ومن أمامه نورا ، ومن ورائه نورا ، وعزيمه نورا ، وعن شماله نورا ، وبالجملة أصبح ربانيا وقرآنا يعيش بين الناس . قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كَرِهْنَا رِيبَانِينَ بِمَا كَمْ تَعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كَمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

ومن ترك هذا الكتاب زلت قدمه ، وتسلب عليه شيطانه : ﴿ وَمَنْ يَعْشَ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شِطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُبْتَدَلُونَ ﴾ [الزمر : ٢١] .

مهندون ﴿ [الزخرف : ٣٦] . وتقلب هذه الصداقة التي كانت به وبين الشبه . في الدنيا إلى عداوة بغضه في الآخرة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ مِنْ هَاهُنَا خُذُوا مِنْ هَاهُنَا وَلَا تَكُلُوا مِنْ هَذِهِ الْشَّجَرَةِ فَتَحْزَنُوا وَلَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ هُمَا بَشَائِرُ الْمَلَكُوتِ الْيَوْمَ كُنَّا نَتْلُو عَلَيْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ لَعَلَّكَ تُبْقِرُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٨] . لأن كل صدقة تقوم في الدنيا على غير معرفة الله تقلب إلى عداوة يوم القيامة : ﴿ الْأَحْلَاءُ يَوْمَئِذٍ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُبْتَدَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

ولذا قال رسول الله ﷺ : « خير الأصحاب من إذا ذكرت الله أعانك ، وشر الأصحاب من إذا ذكرت الله لا يذكرك » . وقال : « لا تصاحب إلا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي » . وسنت يقول : « مؤمنين يوم القيامة : ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ . ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٨] » .

فإذا كان السالك لطريق الهدى يعيش بين حالات الأنوار من جميع الجهات من تسلط عليه شيطانه يسد عليه جوانب الحياة . فقد نفق الكتاب العزيز بذلك من إنسان إليس . يقول : ﴿ قُلْ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَ الْمَسْتَقِيمِ ، ثُمَّ لَا يَجِدُنِي مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧] .

إن هذا القرآن العظيم يخبر ويرشد وينبه ويوقظ ويكشف حديج شياطين . والله تعالى ينادي على عباده فيقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [النور : ٢١] ، وبين عاقبة اتباع هذه الخطوات فيقول : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [النور : ٢١] . والمأمل في هذا الصنيع . حدثني الله تعالى عن سبع خطوات وذلك لأن : « لا ينجو الإنسان من المعصية مباشرة ، وإنما يسبق ذلك خطوات حل طريق المعصية : يستدرج الإنسان فيها شيئا فشيئا ، حتى يجد نفسه أمام أمر شنيع ، فإذا ما انغمس في المعصية وتوفى بعد وقوعها تذكر أنه لو حسم الأمر في بادئ ما أدى به إلى أن يكون من الخاسرين » . لأمر الله . ويتأكد هذا المعنى وينجلي في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّبَا ﴾ وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ﴾ [الإسراء : ٣٢] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء : ٣٤] .

«...» في هذه القصص عن الغرب ، وهو بالأولى نهي عن فعل الشيء نفسه ،
 ففرب الرنا أو قرب الفراحش : هو عبارة عن مقدمات تؤدي إلى الفعلة الشنيعة .
 والمقدمات : كالطرفة والخلوة بالمرأة الأجنبية ونفس أو القبل ، إلى غير ذلك من
 الدواعي التي تؤدي بصاحبها إلى الوقوع في ما حرم الله . وقرب مال اليتيم بغير ما
 أمر الله : هو النظر إليه بين الطمع ، وتبديل طبعه بخبيث مال الوصي ، وحلط المالين :
 مال الوصي ومال اليتيم - دون أن يكون هناك حساب قائم بمبدأ التقدير .. قرب هذه
 وسائل قرب غير التي هي أحسن تؤدي إلى أكمل الحرام ومن الحرام . قال تعالى :
 ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتِهِمْ . وَلَا تَسْبُلُوا الْحَيْثُ بِالْقَبْلِ . وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ .
 أَمْوَالَكُمْ إِنَّهُ كَانَ حَرْبًا كَبِيرًا ﴾ . إذ أن من حله حول أخفى بوشك أن يقع فيه . ألا
 إن بكر منكم حمى ، ألا إن حمى الله عارمه .

ثم إن هذه الآية الكريمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾
 [النور : ٢١] ، إنما جاءت عقب آيات تنفيس قوانين إسلامية في نظام المجتمع ، ففي
 الآية رقم [٢١] من سورة « النور » .. حد الله في هذه الآيات السابقة حدوداً للزنا
 وقذف المحصنات العادلات المؤمنات ، وبين حكم اللعان بين الرجل وزوجه . ثم قصر
 غايها حديث « الإثم » ، فمن يثبت أن تشيع الدخلة في حمى أمورا .. فكل هذه الأمور
 قسماها حفرة أخذ فيها الإسلام موقف حاسمة لتسير سيرة سبغة الحياة في جو معتدل . وبعبارة
 هذه المواقف والأحكام والحدود فإن السبغة في غم الشاح الضال ، ولا أخير الملام
 ولن تكون ما الرياح مواتية . إذ سرعان ما تسقط من صخرة عاتية تؤدي به إلى قاع
 الخيطة ، ومن هنا نرى أن هذه الحرام السابقة إنما جاءت نتيجة لاتباع خطوات شيطان
 على طريق المعصية ، وهذا مستند ومقدمات أدت إليها .

ولقد آمن الله سبحانه وتعالى غلبا فين لنا الرشد من العمى فقال : ﴿ يريد الله
 ليخبرن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم . والله يريد
 أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً . يريد الله أن
 يخلف عكم ، وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾ وقال حل شأنه : ﴿ بين الله لكم أن تضلوا ،
 والله بكل شيء عليم ﴾ .

لقد انتفع السلف الضال بهذه الدروس الخالدة التي عرست فيهم ربيع السحيا وكرم

«...» في شتى صورها . فمن أهم ما يتميز به هذا الدين اعجب أنه دعى
 «...» فقد قال : عليه الصلاة والسلام - متحدثاً بنعمة الله عليه : « بما أنا رحمة
 مهداة » وقال : « الراحون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في
 السماء » . وقال أيضاً : « لا تنزع الرحمة إلا من شقى » ، وقال أيضاً : « من لا يرحمه
 لا يرحمه » .

وكفى الإسلام في حال رحمة وبها إنسانيته وراحة أنه فتح أبواب خزان لرحم
 سقى كلباً كان قد اشتد به العطش وأدخل امرأة النار لدمها عذبت مرة حبسها : لا
 هي أظلمتها ، ولا هي تركها تأكل من خشاش الأرض ، حتى ماتت جوعاً .

ويتصل ويتألق هذا الجانب من الرحمة في أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب
 - رضي الله عنهما - في حادثة نحى لها الجباه العالية . فعمر - في عهد أبي بكر
 الصديق - رضي الله عنهما - وهو بمثابة وزير عدله - يمهّد امرأة عحوزاً عبياء : يرش
 في خيمتها ويلوم بتظليل أرضها ، ويحضر لها طعامها . وبوصفها ألا خير أحداً هذا
 شأن . وبأن ذات يوم فيقاجاً بأن الحيمة قد كنت وريشت وأحضر اصمام للمحوز
 وبألفاً : من فعل هذا ؟ فقالت : لا أعرفه ، وأوصالي ألا أذكر معله بأحد .. فبأن
 عمر في اليوم التالي ، ويخشي وراء صحرة ليرى من حي بأن في حده ليقوم به
 عمل . أندرون من كان هذا ؟ إنه أبو بكر الصديق . مخرج له عمر من وراء الصحرة
 وقال له : أنت يا خليفة رسول الله ؟! ثم يرسل هذه بكلمة الخالدة . « ما سألت
 - بكر الخير إلا صفتي ! »

فهذه حادثة من آلاف الحوادث التي سادت المجتمع الإسلامي الكريم . وحاجة ووزيره
 يتسابقان لخدمة امرأة عحوز أقعدما افرم ، ويفتح كل منهما مع الله دفتر توفيقه
 لحسنات ليعرّن له الرصيد الأعظم عند الرحمن جل جلاله ﴿ ما عداك يفقد وما عدا
 الله باق ﴾ [الحل : ٩٦] ، ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ [الأعداء :
 ١٦٠]

فاللهم احملنا من جيودك المخلصين الذين يستمعون القول فيستعملون أحسنه ، وصل
 عليهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

القرآن واثره في تربية الأخلاق

ليس هناك من طريق للنجاح أعظم من كتاب الله الذي علم المسلمين أعظم الصفات وأجملها ونستعرضها على سبيل المثال - لا الحصر - مع تلك الصفات .

• لقد علمهم الأمانة : فقد قضى الإحساس برقابة الله على جميع روائع الحاحلية في نفوس المؤمنين ، وطبعهم بطابع رباني فريد كله خشية لله ومراقبة له وابتغاء لمرضاته ، ومما يروى في ذلك : أنه لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأنصار : أقبل رجل يخطب معه ، فدفعه إلى صاحب الأنصار ، فقال للذين معه : ما رأيها مثل هذا فقه ما يعلمه ما عدنا ، ولا يقاربه ، وقالوا للرجل : هل أخذت منه شيئاً ؟ قال : أما والله لو لا الله ما أتيتكم به فعرفوا أن للرجل شأنًا ، فسألوه : من أنت ؟ فقال : لا والله لا أحرركم لتعبدوني ، ولكي أحمد الله وأقرضني ثوابه ، فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه ، فإذا هو عمر بن قيس .

• كذلك علمهم الإسلام التسامح ، وأكد هذا المعنى في موسمهم فلا شجاء ولا بغضاء : فهما عليه بن يزيد - رضي الله عنه - لا يقوى على الجهاد ، فيقوم من الليل يصلي ، ثم يتوجه إلى رافع السماء بلا عمد ، ودموع الاعتذار تفيض على خديه ، فعاد قال في اعتذاره إليه ؟ قال : • اللهم إني قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ، وأنت تعلم أنني لا أملك ما أتقوى به على الجهاد ، وليس عند وصوتك ما يحملني عليه .. فآلهم أشهدك أنني قد تصدقت على كل مسلم ومسلمة بكل مظلمة ظلمتني بها في نفسي أو مالي أو عرضي • .

وفي الصباح يذهب إلى رسول الله - ﷺ - ، ويبتغ الرضوخ بوجهه المستنير كأنه قطعة قمر وهنادى : • أين المصدق الليلة الماضية ؟ • فيسكت • عليه • فيكرر الرسول - ﷺ - سألده ، فيقول • عليه • : أنا يا رسول الله ، يقول له سيد الخلق وحبيب الحق : • أبشر ! فقد كتبت صدقتك لي الزكاة المقبولة • .

إياها السامحة لـ أجل ممانيتها ، وإبه الغفر والصفح الجميل .. تصدق بكل مظلمة

على كل مسلم ومسلمة ، وبهاك كان نوع هذه المظلمة ! إنها روح القرآن • وبها صفحته المقدسية • وبها شمائله الربية .. جميل في كل شيء : لـ صفحة جميل • وصفح الصفح الجميل • ولـ صوره جميل • فاصبر صبراً جميلاً • وحتى في هجره جميل • وامحرمه محرراً جميلاً • .

• وعبر من فهم القرآن روح العزة مهما أدلعت الخطوب ، وصار الخصب قادحاً .
• منها هو • سعد • بن أبي وقاص • قبل واقعة النخيلة - يرسل • ربي • بن عامر • إلى • رستم • فأنه حبوش الحرس وأمرهم ، فدخل عليه وقد ذهبوا يجلسه وقد جلس على سرير من ذهب ، ودخل • ربي • بتياب صفيقة ونرس وقرص قصيرة ، وبه يزل راكبه حتى • بها طرف الساط • ثم نزل ورعظها بعض تلك التوسائد ، وأقبل عليه وعظه • رستم • ربه ورسوله من رأسه • فصور • سبع صلوات • فقال • بن م أنكم وبنا دناؤي • فإن بركنتموني هكذا وإلا رحمت • فقال رستم : دعوه • فقبل يركب على ربعه • فسأله • رستم • : ما جاء بك ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة عباده إلى عبادة الله • ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام • .

• إياه عزة النفس مهم تكن قسوة العباد • وإياه عزة الإسلام • مهما تكن قوة الحاد الآخر • بها العزة التي قد فيها عمر • رضي الله عنه • : • لقد كما أدته فأعزنا الله • .

• سمعه هذا الكتاب فصل الصفات وأرفعها وأقوامها وأقربها وأظهرها وأزكاه : ألا وهي صفة الصدق ، كما أمرهم بذلك النبي العظيم في قوله : • عليكم بالصدق • فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً • وحذرهم من الكذب فقال : • وإياكم والكذب • فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ويبحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً • . وقد سئل رسول الله - ﷺ - : • أكون المؤمن كذاباً ؟ • فقال : • لا • وقد طلب من أحد العصاة نصحه فقال : • لا تكذب • .

• علموا أن الصدق منجاة مهما اشتد الحظر • ومهما كانت العوامل المترتبة عليه •

فصدقوا .. وما أنذا أقدم أسداً في علم العبدق يتحدث إليها في أخرج المواقف وأشد
الغروب : إنه كعب بن مالك - رضي الله عنه - ، أحد الثلاثة الذين حملوا - وأنزلوا
بكم الآن إلى كعب ، وهو يلبس مأم سيدنا رسول الله - ﷺ - : الرسول يسأل
وكعب نجيب ، فلست تعرض القصة بأكملها :

قال كعب بن مالك : لم أخلف عن رسول الله - ﷺ - في غزوة غرها قط إلا
في غزوة تبوك غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعتاب أحد تخلف عنها ، وإنما
خرج رسول الله - ﷺ - يريد غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على
غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله - ﷺ - ليلة العبة حين تناقشا على
الإسلام ، وما أحب لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر ،
وكان من حيرى حين تخلفت عن رسول الله - ﷺ - في غزوة تبوك ، أني لم أكن
قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما جمعت قلبها راحلتين
قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، وكان رسول الله - ﷺ - كلما يريد غزوة يغزوها
إلا وري بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزا رسول الله - ﷺ - في حر شديد
واستقبل صيفاً بعيداً ومناوز ، واستقبل عدواً كثيراً ، فعلى المسلمين أمرهم لينأهوا
أهية عدوهم ، فأحبرهم وجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله لا يجمعهم كتاب
حافظه يريد الدبران ، قال كعب : فقل رجل يريد أن ينجب إلا ظن أن ذلك سيخفى
عليه ، ما لم يتزل فيه وحى من الله - عز وجل - ، وغزا رسول الله - ﷺ - تلك
الغزوة حين طابت النوار والظلال ، وأنا إليها أصغر ، فنهض إليها رسول الله - ﷺ -
والمؤمنون معه ، فطفت أغدو لكي أجهز معهم ، فأرجع ولم أفض من جهاري شيئاً ،
فأقول لنفسي : إلى قادر على ذلك إذا أردت ، فلم ذلك يتأذى لي حتى استمر الناس
بالجد ، فأصبح رسول الله - ﷺ - غادياً وبسلسون معه ، ولم أفض من جهاري
شيئاً ، وقلت : أجهز بعد يوم أو يومين ثم ألتحق ، فغدوت بعدما فصلوا لأجهز فرجعت
ولم أفض من جهاري شيئاً ، ثم غدت فرجعت ولم أفض شيئاً ، فلم يزل ذلك يتأذى
لي حتى أسرعوا ، وتنازل الغزو ، فهجمت أن أرتحل فأخفهم ، وليت أن فعلت ،
ثم لم يبق ذلك لي فطفت إذا خرجت من الناس بعد رسول الله - ﷺ - بمرسى
أنى لا أرد إلا رجلاً مغموصاً عليه في الشقاق ، أو رجلاً ممن عذره الله - عز وجل - ..
لم يلدني رسول الله - ﷺ - حتى بلغ تبوك . فقال وهو جالس في القوم بتبوك :

ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني مناة : جسه يارسب - لله مرداه
ومطر في غلبته . قال معاذ بن جبل : بل سألت والله يارسب الله ما سبأ عنه
إلا حيراً ، فسكت رسول الله - ﷺ - . قال كعب بن مالك : فلما بعثني رسول
الله - ﷺ - قد توجهت فملاً من تبوك ، حضروني بني ، وضفت ثم ذكر الكذب
وأقول : لماذا أخرج من صفته غدا ؟ وأستعين على ذلك بل ذي رأي من أهل ، فلما
قبل أن رسول الله - ﷺ - قد أتى قادمًا زاح عني البائل ، وعرفت أني أنا مع
بني ، فأجمعت صدق ، فأصبح رسول الله - ﷺ - ، وكان إذ قدم من سفر
بداً بالسجدة فجلس ، وكنت لم أحسن الناس ، فلما فعل ذلك جاءه المتحمسون فقفقوا
بمنذرون إليه وخمسون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منه رسول الله - ﷺ -
- علاتهم وسنفرهم وكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى حنت ، فلما
سلمت عليه تسم تسم تخلف ثم قال لي : (تعال) ، فحنت أنسى حتى جلست
بين يديه ، فقال لي : ما خلفك ؟ ألم تكن قد اشتريت ظهراً ؟ فقلت يارسب
الله ، إن لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من صفته بعذر ،
فقد أغضبت عدلاً ، وكفى والله لقد علمت لئن حدثت اليوم بخديت كذب ترضى
عني يوشكن الله أن يسخطني عني ، ولئن حدثت بصدق تجد عني فيه إن لأرجو
عفى دمت من الله - عز وجل - : والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أفرغ
ولا أيسر مني حين تخلفت عنه . قال : فقال رسول الله - ﷺ - : أما هذا فقد
صدق . فقم حتى يلقي الله عليك ، فقم ، وقام إلى رجال من بني مناة وانعوى .
فقالوا : والله ما علمت كنت أدت دنياً قبل هذا ، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت
عن رسول الله - ﷺ - ، ما اعتذر به المخلفون ، فقد كان كافيك من ذلك استغفار
رسول الله - ﷺ - لك . قال : فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرفع ما كذب
نفسى . قال ثم قلت : هل ألقى من هذا أحد ؟ فقالوا : نعم ، كتب معك رجلاً
فلا مني ما قلت وقيل مما مثل ما قيل لك ، فقلت : فمن هما ؟ قالوا مرارة بن الربيع
العامري ، وهلال بن أبيه الواقسي . فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا في فوجها
أسوة .

وهذا الحديث بقية رواية تروى ما عناه هؤلاء الثلاثة من مرارة وعذاب مدة خمسين
رحماً عن رسول الله - ﷺ - ، فيها عن كلامهم وأمرهم باغترال سبائهم حتى نزل

عواقب الإعراض عن ذكر الله

من فضائل القرآن العظيم : تلك القصة التي سجلها كتاب الله الكريم من بدء الخليقة إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ، ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ (طه : ١٢٣) .

إن ذوى الألباب المستهرة ، وأولى الأئمة المنيرة . إذا ما طرحوا هذه القضية على سباط البحث ، وغلغلو غززون فكرهم ، وفدحوا زناد عقولهم : وجدوا النسمة ثائية ، فالناس فرقتان : فريق اتبع الهدى . وفريق أعرض عن الذكر .. فريق اهتدى ، وفريق غوى فهوى .. فريق سلك الطريق المستقيم ، وفريق تفرقت به السبل فضاء في بيداء الحياة . وترتب على كل من الفريقين نتائج عظيمة . ولقد تكلمت - فيما سبق - عن نتائج الفريق الأولى ، فريق المهتدين ، وقلنا إنها في مجموعها تدور حول هذه الأمور التي سجلها الكتاب العزيز :

- ١ - لا خوف عليهم .
- ٢ - ولا هم يحزنون .
- ٣ - لا يضل .
- ٤ - ولا يشقى .

ثم تأتي نتائج ترتب على سنوك الفريق الآخر ، فتسجل سورة البقرة : هذا الفريق الذى يقابل فريق المهتدين بأنهم الذين كفروا وكذبوا بآيات الله . قل حل شأنه : ﴿ فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٣٩] .

فهذه الآية المقابلة لآية الهداية تسجل على الفريق الآخر - إذا أدى به إعراضه إلى الكفر والتكذيب - تسجل عليه الخلود في النار ، لأن الإعراض والعزوف عن اتباع الهدى - هدى الله - قد يكون طريقاً إلى التكذيب بآيات الله ، أو استكبار عن أمره ،

فهم قول الله - عز وجل - : ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعدما كاد يزويغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم ﴾ . [الآية ١] . قال كعب : فوالله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هدى للإسلام ، أعظم نفسى من صدق رسول الله - ﷺ - يومئذ أن لا أكون كذبه وأهلك كما هلك الذين كذبوه ، فإن الله - تعالى - قال للذين كذبوه حين أنزل نوحى شر ما قال لأحد حيث قال جل شأنه ﴿ سيجعلون بالله لكم إذا أنقلب إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا منهم إنيهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ... ﴾ [التوبة : ١٥] الآية .

إن أنبياء معجز ، واللسان يكل ، والبلاغة تسلم أمتها ، والقلب يفتح أمام هذا الحراب المقدس ، ولا يبد الإنسان تعبيراً يعبر به عن هذه التربة إلا أن يقول : لا عجب ، فإنهم أصحاب محمد - ﷺ - غلبوا من منله العذب وتعلموا في مدرسته نعمى أن الصدق صفة من صدقات الله ورسوله ، فحشروا هذا اللاء العض : محر حسين يوماً ، ومحر نسايتهم لهم بعد أربعين يوماً ، ونكر اجتماعهم حتى طوا أن الأرض التي يقيمون فوقها قد تكررت هي الأخرى بعدما ضاقت عليهم بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ١٢ إنها رقابة الله عليهم ، إنها قنوتهم السليمة وصبرهم البقطة بقية الإسلام فصدفوا لأن الصدق محجة .

صلى الله عليك الله باعلم الهدى وعلى آل بيتك الأظهر الأبرار وعلى أصحابك أحيار ومن اتبعك بإحسان إلى يوم الدين .

وما وعى ، والبطن وما حوى ، وليكثر من ذكر المقابر والبل ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا .

ثم يقول - رحمه الله - : « الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني » .

هكذا دخل آدم وزوجه الجنة ، وهكذا أكلا من الشجرة . وهكذا هبطا إلى الأرض ، لماذح مخلقة ، والحياة صراع مستمر ، وعراك دائم بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل .

لقد صدر الحكم من الله أن تحيي البشرية في هذه الأرض ، وتموت فيها ، وتخرج منها يوم القيام . قال الله تعالى : ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ ، وفيهَا تَمُوتُونَ ، ومنها تُخْرَجُونَ ﴾ . وقال أيضاً : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ، وفيهَا نَعِيدُكُمْ ، ومنها نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه : ٥٥] .

ولقد تدارك الحق بلطف بره أمل الأرض ، فكان من مظاهر لطفه بهم أنه وهبهم عقلاً ، ومحبهم حواس وقوى ، ووهبهم فطراً ، وبعد ذلك لا يتركهم هملًا . فقد نبّل لطفه بهم ، فأرسل لهم رسلاً مبشرين ومنذرين ، ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [النساء : ١٦٥] . وشاءت رحمته أن يكتف الماد بأمور في حدود طاقته : ﴿ يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ﴾ . ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج : ٧٨] . ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ [النساء : ٢٩] .

فلو أن العباد تركوا وشأنهم يشرعون لأنفسهم ما غلبه عليهم عقولهم : لوعموا في حيرة الظلام ، واصطعدوا بظلام الحيرة . فالعقول مختلفة متفاوتة متضاربة متناقضة فما يراه هذا حساً يراه غيره قبحاً ، وما يراه هذا عدلاً يراه غيره ظلماً ، وما يعتقد هذا حقاً قد يراه غيره باطلاً ، وبين هذا التضارب في هذا الحضم الملاحظ يهوى البشرية في قاع الغيظ ، ومن هنا جاء القانون النزالي الخالد : ﴿ قال اهبطوا منها جميعاً ، بعضكم لبعض عدو . فإما يأتينكم مني هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ .

كذلك من مظاهر لطف الله بعباده أنه رفع القلم عن ثلاث : عن العسى حتى نحتمل وعن الجنون حتى يفهم ، وعن السأم حتى يستيقظ . ورفع عن خفتا النساء والسياء وما استكرهنا عليه ، فلمس لأحد بعد ذلك أن يرمى أحكام الله لا يلبس بها . فالأحكام عادلة ، والشرعة سمحة ، وطريق الإسلام أبلج على المحنة أبيضاء .. ليلها كهارها .

فيا أخا الإسلام :

ترود من القوى فإنك لا تدري إذا جن ليل : هل تمشي إلى الفجر
فكم من فنى أمسى وأصبح ضاحكاً وقد نسجت أكفانه وهير لا يدري
وكم من عروس زهوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم بينة القدر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

توجيهات ربانية

انظر إلى لطف الله بعدما حكم للبشرية أن تعيش في هذه الأرض . خاطب آتاه آدم وقال ﴿ يا آتاه قد أرسلنا عليك لساناً يورث سوءاتكم وربنا . ولباس النفوس . ذلك خير ذلك من آيات الله لعينهم يذكرون ﴾ [الأعراف : ١٢٦] . فبرعت البشرية هذا السر الذي أريد الله أن يستتر موعظاتها به ، فأبما هي بهذا السر تحذر إلى الحفيظ ، لأن الرسول - ﷺ - حذر من العري فقال : « إياكم والعري ، فإن معكم من لا يفارقونكم إلا عند الحاجة ، وعندما يفضي أحدكم إلى أهله ، فاستحيوهم وأكرمواهم » حتى سمع من آتاه - ﷺ - أنه أمر الرجل أن يستحي إذا أقر أهله ، فقال : « إذا أقر أحدكم أهله فليستره » . ولو حلا الإنسان بنفسه معبأً أن يستتر ، كما أمر الرسول - ﷺ - بأن الله يراك . والله أحرق أن يستحي منه ، ثم بأن ليس النفوس وهو السلاح الأقوى .

إذا المرء لم يلبس ثياباً من النقى فقلب عرياناً ولو كان كسباً وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير في من كان لله عاصياً

ولقد حذر رسول الله - ﷺ - رجلاً من النساء لا يلبس رداءً ، ويوصفهن كنسب عاريات مائلات ميلات . وفي وصفهن كنسب عاريات مائلات ميلات . ولا يلبس رداءً ولا يحدد رداءها فإذا ما عصت المرأة رداءها ، وأثقت ثوبها في عير بيت زوجها - مرت بها ذمة الله .

أما إذا صلت خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قبل ما يوم القيمة : أدخل الجنة من أي أبوابها التي شئت !

ثم بأن الموقف الثاني بعد هبوط آدم من الجنة حيث يذبح القرآن الكريم هو التحريم الشديد : ﴿ يا آتاه لا يمسك الشيطان كما أخرج أبيكم من الجنة بنزع عبا لباسهما ليربما سوءاتهما . إنه يراكم هو وقيله من حيث لا ترون ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

وهذا مصباح منير يطلع العاذر للعباد أمام الله .. يقول جل شأنه في بعض مواضع القيامة : ﴿ وانازلوا اليوم أيها المجرمون . ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدوا هذا صراط مستقيم ﴾ [يس : ٦١] .

بل إن الشيطان نفسه سبق على مسرح القيامة ويصبح : ﴿ إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن أدعوتكم ، فاستجب لي ، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرحي . إلى كفرت بما أشركتمون من قبل . إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ [إبراهيم : ٢٢] . وقال جل شأنه : ﴿ فلما تراءت الفئتان لكر على عقبيه ، وقال إلى برى منكم . إلى أرى ما لا ترون . إلى أخاف الله ، والله شديد العقاب ﴾ [الأنفال : ٤٨] .

وقال سبحانه : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال إني برىء منك إلى أخاف الله رب العالمين ﴾ [الحشر : ١٦] .

ولم يكن التحذير فاصراً على شيطان الجن وحده ، بل الشيطان على شتى صورته يساً كان أو حياً .. لقد مثل أحد العارفين بالله : أيها أشد عليك ؟ فقال : شيطان الإنسان . لأن شيطان الجن إذا استعذت بالله ولى هارباً .

لذلك يقر القرآن الكريم بين الشياطين مقدماً شيطان الإنسان و قوله تعالى ﴿ وكذلك جعلنا لكى نبي عدواً شياطين الإنسان والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ [الأنعام : ١١٢] . وذكر العلاج عند نزوح كل منهما . قال في سورة الأعراف : بين علاج شيطان الجن : ﴿ وإما يمزغك من الشيطان نزوح فاستمذ بالله إنه يسمع عليم ﴾ . وقال في شيطان الإنسان : ﴿ خذ العنق ، وأمر بالعرف . وأعرض عن الجاهلية ﴾ . قال رسول الله - ﷺ - لما نزلت هذه الآية : قلت يا جبريل أخبرني عنها ، قال : لا أدرى حتى أسأل رب العزة . ثم هبط على سيدنا رسول الله - ﷺ - فقال له : « أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » .

وفي سورة المؤمنون يقول الله تعالى في دواء كل منهما : يقول في علاج شيطان الإنسان : ﴿ ادفع بالناسي هي أحسن السنة ، نحن أعلم بما يعصفون ﴾ [المؤمنون : ٩٦] .

ويقول في علاج شيطان الجن : ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ .

ويقول في سورة (فصلت) في علاج شيطان الإسر : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا . وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ [فصلت : ٣٥] ، وفي علاج شيطان الحر في نفس السورة : ﴿ وإما ينزغك من الشيطان نزع فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ [فصلت : ٣٦] .

والقارئ الكتاب الله المتين لي آيات يجد إذاعة القرآن الكريم لا تكف عن إصدار بيانها ضد الشيطان وأعماله ، فعندما يقول القرآن الكريم : ﴿ إن الله لا يغير أن يشرك به ، ويغير ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد حل ضلالاً بعيداً ﴾ يحذر من هذه القلة الشنيعة وهي الشرك ، ثم يرفع الستار ، ويكشف القباب عن نشاط الشيطان في هذا المجال ، فيقول جل شأنه : ﴿ إن يدعو من دونه إلا أنا ، وإن يدعو إلا شيطاناً مريداً لعنه الله ﴾ . ثم بعد ذلك يبرز أمام العيون ما فعله ذلك الرجيم حتى لا يكون سراً مكوناً في ضمير العبد فيقول سبحانه : ﴿ وقال لأخذن من عبادك نصيباً مفروصاً ﴾ [النساء : ١١٨] . ثم يبيح الشام بعد ذلك عن الضيق التي يأخذ بها ذلك الصيب المفروض ، فيقول جل شأنه : ﴿ ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ، ولأمرنهم فليغيرن خلق الله ، ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً . يادهم ويمنهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ [النساء : ١٢٠] .

ثم يعبر الحكم الحاسم الحارم لأنواع هذا الحال الفضل من الشياطين فيقول : ﴿ أولئك مأواهم جهنم ، ولا يخرجون عنها محبباً ﴾ [النساء : ١٢١] .

ثم تأمل جلال القرآن وجماله وهو يؤكد عداوة الشيطان للإنسان فيقول : ﴿ وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ ثم يقول : ﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ . ثم يؤكد هذا الخطاب فيقول : ﴿ إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ .

وبه تحريف الشريعة عن طريق الله ، فإن الشياطين تصير لهم مزبنة . وبصبرهم لها متعين وتقوم بين هؤلاء وأولئك ولاية وصلة . اسمع إل كلام الله وهو يقول في حق الشيطان : ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

وحين تنزه هذه الرواية بين الفريقين ينفي الشيطان عن السنة أتباعه أصحاب الباطنة وأمرائه والكذب : لقد كذب العرب في جامعتهم يطوفون بالبيت عمرة الأحمد - نساء ورجلاً - فبد سئلوا عن ذلك قالوا : هكذا كان يفعل آباءنا والله أمرنا به . ثم شعروا بعد أن يقول بعضهم هو أفصح من ذلك ففتوا : إن ثبات هذه التي فتن بها الخطيئة . ثم سئلوا : ما يصح أن يقولوا : إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فقالوا : لا يصح . ونحو شبهه . فيقول تعالى : ﴿ وإذا لعنوا فاحشاً فأنوا وجدنا عليها . ما ، والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفتنة . أنقولون على الله ما لا تعلمون . قل أمر ربي بالقسط . وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وادعوه مخلصين له الدين ، كما بدأكم تعودون . لربما هدى ، وفريقاً حق عليهم الضلالة . إني اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله . ويخسئون أنهم مهتدون ﴾ [الأعراف : ٣٠] ، ثم يبيح ما فعله يثوب : ﴿ يسي آدم سدوا زينكم عند كل مسجد ﴾ [الأعراف : ٣١] .

وبه تحريف الشريعة بين الشيعي لما سوء عملها فراه حسناً ، فتص من سيئ . قل جل شأنه : ﴿ وزين هم الشيطان أعمالهم فصدهم عن سبيل فهم لا يبينون ﴾ [النحل : ٢٠] . وفي جل شأنه : ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ﴾ . ويومها أفض سبيد لها من هناك شبابه وجبائه فتعنه . يقول جل شأنه : ﴿ فهل عسيه إن توليه أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ .

ونقد آل شيطان عن نفسه ألا ينف موقف الصبح لأي مؤمن . فقد جاء في كتاب تنبيه إليس : للإمام بن الجوزي ، أن يحيى ابن زكريا عليها السلام رأى الشيطان ذات يوم فقال له : أعدك ما تستطيع أن تشغلي به ؟ قال الشيطان : لا أجد إلا أن تأكل كثيراً وتشرب كثيراً فتم كثيراً وتأخر الصلاة عن وقتها . قال يحيى - عليه السلام - : لا أشبع بعد اليوم قط . قال الشيطان : وأما لا أفسح بعدك أحداً

من أعرض عن الله سلك طريق الشيطان

إن شائع الإعراس عن ذكر الله تحل عن الحضر لأن مسألت الشيعر مع الإنسان متعددة . رإليكم تفسير ذلك :

إذا كان الله - تعالى - يقول : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ فليست الرؤية هنا قاصرة على رؤية العين ، وإنما تعداها إلى الرؤية العينية . أى أن الشيطان يعلم المسالك التى يدخل بها عليكم من حيث لا تعلمون مسالكه ومسالكه قبيله . وللشيطان من المسالك الكثير المتنوع : هو ثالث اشريكين إذا حان أحدهما الآخر ، وهو الثالث للرجل والمرأة الأجنبية إذا خلا أحدهما بالآخر ، وهو الواقف أمام الإنسان إذا أراد أن يتصدق ، يعده بالفقر ، ويأمره بالفحشاء وهو السفع للإنسان إذا طلق زوجته صباحاً أن يأتيها مساء ، وهو الذى يوقع العداوة والبغضاء بين الناس فى الخمر والبسر ويصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهو الذى يقف أمام فاضل أخير فى أى وجه من وجوهه يدعو إلى عبادة الدرهم والدينار والخميمة . يقطع الرحمة ويزيد العلاء ، وهو الذى يقف أمام مجاهد يذكره بماله وولده وزوجه ، يقول : أنتقى بنفسك فى افلاك وتترك مائك وأهلك وولدك ؟ وهو الذى ينسى الإنسان أوقات الصلاة ويبقى عليه بالكسل ، فإذا ما دخل الإنسان الحذاء ذكره بربه ، ويحاول أن يلقى بآيات الله على لسانه فى مكان لا يليق فيه ذكر الله ، وهو الذى يرسل موجاته خطوية المنيبة بالسواوس ، يعرض الدنيا أمام الإنسان ، وهو واقف بين يدي الله فى الصلاة ، ولما قال موسى - عليه السلام - : « ياموسى تذكرنى ولا تنسى ، إنك إن ذكرتنى شكرتنى ، وإن نسيتنى كفرتنى » . قال تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُوا لى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

ولقد ساق صاحب كتاب « تليس إبليس » والعلامة ابن كثير فى معنى قول الله - تعالى - : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِى بَرِئٌ مِنْكَ ، إِنِى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦] .

وحداء فى هذا الكتاب أيضاً أن بعض الصالحين سأل الشيطان : كيف حالتك يوم مع الناس ؟ فقال الشيطان : كنت بالأمر أعلمهم ، ولكننى صرت اليوم أعلمهم ! ولا عجب فقد قيل لأحد العارفين بالله : هل يكف الشيطان عن العواية ؟ فقال : إن

لاسترحا . اللهم احفظنا بمولك وقوتك من الشيطان الرجيم واجعلنا من عبادك المخلصين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

ساقاً أمثلة تكاد تنفد لما الأكباد لكيد الشيطان : قال العلامة ابن كثير في رواية عن ابن جرير عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : إن راهباً تعد مئتين سنة ، وإن الشيطان أراد ما عياه ، فعند أن امرأة فأتته ، وما إحوه ، فقال لإحوتها : عليكم بهذا الراهب فيداويها ، قال : فجاءوا بها إليه ، فداواها ، وكانت عده فيها هو يوماً إذ أعجبته ، فأتاها ، بعد أن أغواه الشيطان ، فحملت ، فعند إليها ففشلها ، ففجاء إعرابها ، فقال الشيطان للراهب : أنا صاحبك ، إيت أعينني ، أنا صمت هذا بك ، فأطعني أنتك مما صمت بك ، فاسجد لي سجدة ، فسا سجد له ، قال : ثم إلى برىء ملك ، إلى أخاف الله رب العالمين [المشر : ١٦] .

وقوله الله تعالى : ﴿ ومن يعمر عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ [الرخرف : ٣٦] ، نجد الكثير من الكوز الربانية : فالشيطان إذا تمكن من الإنسان ، قد يصحح الإنسان أستاذاً له ، ويصحح الشيطان تابعاً له : أم تر يا أخى إلى ذلك العالم من بنى إسرائيل ويدعى بلعام بن باعورا ، كان حبراً كبيراً ، وبلغ من بعام الخير مرشداً موسى فيه أن أوفده إلى أهل مدين يدعوهم إلى الله ، ويبلغ من بعام الخير مرشداً وهادياً ، ويهتف الشيطان معه حليواً غنياً ، ومضلاً يخصصاً لدوداً ، فيعمر أهل مدين أن يهدموا له ما في سبيل أن يكف عن هذا الكلام ، ويترك موسى ودعوته ، فيعرضون عليه المال ، وما أدراك ما المال ؟! سلاح قال : مسدود ريقه الذي يهتف به محبوب . وللنقطة رتيها الذي يسيل له لعاب الضمضاء . وتكفي الإغواء والإغراء من قلبه بلعام . فقل المال ، وترك الدعوة ، وحفا موسى وره .

ويجعل القرآن هذا الدرس ليقفه صاحب الرسالة العصماء ، فيكون فيه مثل ومعة ، قال جل شأنه : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض وسع هوده . فمثلته كمثل الكلب ، إن عمل عليه يلهث أو تركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا . وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ [الأعراف : ١٧٧] .

أقرأ هذا المشهد من القرآن ، فإنه مدرة تنقى البشر دروساً لا تسمى ، وتقص على الناس العبرة الأولى الأبواب . إنه نبأ الذي آتاه الله آياته فانسخ منها .. فقف عند قوله

تعالى : ﴿ فانسخ منها ﴾ فإن هذه الكلمة أثرها الكبير ، ومفزاها .. فقف عند الكلمة العزيزة فانسخ منها ، أو فتركها وإنما قال : ﴿ فانسخ منها ﴾ والسخ كما يقولون . كسخت الجلد عن اللحم . فلو أن هذا الرجل انفصل عن الآيات أو تركها ، لكان من خسران يعود إليها يوماً ، ولكن لفعل الأسلاح ، أفاد أن عودته إليها أمر غير محتمل . كما لا يمكن أن يعود الخس إلى اللحم بعد سلخه ، كذلك أفاد هذا اللفظ أن آيات الله كانت تربته وتديه للناس جيلاً في طعته ومهاته ، كما يزيد الجلد لحمه . فلما انسوخ من الآيات أصبح قرحاً دميماً ، كما يعود اللحم بعد كسخت الجلد عنه .

ويجد هذا السخ أيضاً أن آيات الله كانت نعمه من عبادى الزمن كما يحس الخلد لحمه . فلما انسوخ منها أصبح عرصة للعوادي وعومل الإغواء . واستهوت الشيطان في الأرض حيران . ثم ألقى نظرة أخرى على قوله تعالى : ﴿ فأتبعه الشيطان ﴾ وكيف جاء العطف بالفاء - التي تفيد الترتيب والعقيب - كأن الشيطان انتبهها فرصة بمجرد أن نسلخ هذا الإنسان من الآيات فأتبعه .

ثم ارجع البصر كرتين في قوله تعالى : ﴿ فأتبعه الشيطان ﴾ ولم يقل فنع الشيطان . فب في هذا ترتيب عرصة مائة : أى أنه لتأصيل الغواية في قلبه أصبح مشيخاً والشيطان تابعاً له . ثم انقل حدسك من قوله تعالى : ﴿ فكان من الغاوين ﴾ وكيف جاء العقب والاعراب هذا الذي من : استقر في العوابة والصلال : ثم انقل إلى الآية التي تليها وتأملها بعدما نسلخ هذا من الآيات وعندما صار الشيطان له تابعاً ، وهو أستاذ له ، وعندما استقر في العوابة - تحت شبهة إلهية بعد ذلك أن الله تعالى لو شاء لرفعناه بالآيات ، ولكن حتى حدث له لم يكن عده أى استعداد لأن يرتفع بالآيات ، بعدما رضى بالحياة الدنيا ، واطمأن بها ، وركن إليها ، ومال إليها ، دون أن يكون هناك ضمير يؤنب ، أو من نوم .

في غمرة حصور وقوة العاطفة ، قامت النفس على هدمدة الشهوات ، وذهب وارع الخوف من الله فيها : وما أجل هذا التركيب القرآني في أعلى طبقاته عندما يعبر عن الدنيا بآيات الأرض فيقول : ﴿ ولكنه أخلد إلى الأرض ﴾ [الأعراف : ١٧٦] ، دون أن يقول : ﴿ ولكنه أخلد إلى الدنيا ﴾ فالدنيا والأرض صنوان متلازمان لا أمان

لمن ركن إليها ، ولا اطمئنان لمن تسرب حبها إلى قلبه وملكت عليه أنظار
بصمه .

ثم انظر : كيف استحسنت حلقات الغواية حول هذا الذي سقت وهو ، وكيف
أحاطت به من كل جانب ؟ إنه بعد أن مال إلى الأرض مطمئنا لما قلبه : اتبع هواه ،
وما أدراك ما الهوى ! إنه نوازع النفس إلى مسالك الشر . وهوى النفس قد أعيا الطبيب
المداوى . ومن ثم فالقرآن الكريم يحذر من اتباع الهوى ، ومن طاعة من اتبع الهوى .
قال تعالى في حق المشركين : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا هِيَ إِلَّا ظَنٌّ ﴾ [الحج :
٢٣] ، وقال جل شأنه ﴿ يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص : ٢٦] ، وقال جل شأنه :
﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا
قَالَ أَنفَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِم وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٦] ، وقال
عر من قاتل في حق رسوله ﷺ : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [الحج : ٣] . وفرق
بين غلبة القلب عن ذكر الله وبين اتباع الهوى فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْعَمْ مِنْ أَغْلَا
قَلْبِهِ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨]

ومن هذه المقدمات .

١- أتياه آياتنا فانسلك منها .

٢- فاتمعه الشيطان .

٣- فكان من الغاوين .

٤- ولكم أهلك إلى الأرض .

٥- واتبع هواه .

فإنها تزود إلى نتيجة حتمية : إنها الحال العجيبة التي صورها الله في مثل : فقال
جل شأنه : ﴿ لَمَنَّهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ ﴾ : ولكن الكلب في أي حال ؟ إن الكلب قد يكون
أمنيا لا يعرف الحياة لسيدة ، ولكن هذا أو أمثاله خانوا الله فأذلهم الله . وهذا يذكرني
بعادة جرت أيام رسول الله ﷺ : فقد مر ذات يوم فوجد رجلا قتيلا بالطريق ،

مسئل : من قل هذا ؟ قالوا : يا رسول الله : إن الرجل سطا عن غم من زهر ،
مخرج حبه كسب الغنة فقتله . فماذا كان تعليق السارق الأعمى من هذا الحادث ؟
قال في حق القتل ثلاث كلمات يجب أن تكون تذكرا وتعبا أذلا وخيبة . قل : في
نفسه ، وأضاع دمه . وكان الكلب خيرا مندا .

اللهم لا تزع فؤوسا بعد إذا هديتنا ، واعتم لنا بالساقيات الصالحات أعمالا . ومن
الله على عبدا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الهداية الربانية لا تستعصي على من ارادها

وصف الله أهل النار بأنهم أجل من الأنعام ، لأنهم غفلوا الانشغال بحواسهم وقتلواهم التي خلقها الله لهم وجعلهم بها . قال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، وهم أعين لا يبصرون بها ، وهم أذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل . أولئك هم المفلون ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

وهكذا : طلاب الدنيا ، والساعون لها ، المكذبون بأيات الله ، الغافلون المرضون من دكره ، هم دائما في تعب : في ليالهم ونهارهم ، وصحتهم ومرضهم ، وغايمهم وفقرهم . إن أعطوا في الدنيا طلبوا المزيد ، وإن لم يعطوه فيها حزنوا وابأسوا ، وغرهم والعصب والوصب نفوسهم : لو كان لأحدهم واديان من مثل لايفنى ثائنا ، لأن حوفة لا يملأه إلا التراب ومن جاءت الصبيحة العلية التي يرحبها حلل العظمى في حديث القديس الجنيل : « ابن آدم : عندك ما يكفيك وأنت تضرب ما يطعك ، لا بقليل نفع ، ولا من كثير تشبع ، إذا كنت معالي في يدك ، أما لي سرك ، عندك قوت يومك ، فعل الدنيا العفاء » .

قول كريم من رب كريم ، لا يعمل به ألا عدد كريم

الفس تجزع أن تكون فقيرة والنقر خير من غنى يطعها
وغنى الفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها

وسجل أستاذ الإنسانية الأكبر هذه الحقيقة عن الدنيا ، يقول : « إن هذه الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، ليطر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء » .

كذلك يقول عن المال : « إن هذا المال خضر حلو ، من أحله بسخاوة نفس : بورك له فيه ، ومن أحله باستشراف نفس : لم يارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع » .

إن ميزان الناس إذا كان ميبا على كثرة المال والعرض ، فهو ميزان عني . ومعبّر معكوس ، لا يمكن أن تقوم به قيم ولا ترجح به كفة . إذا نظر الناس إلى المال وجعلوه الميزان لقيم الناس محكمهم غني صحيح وغير حائر : فلقد مر رجل غني عن رسول الله ﷺ فقال الرسول ﷺ لأصحابه : ماتقوتون لي هذا ؟ قالوا يا رسول الله : هو حري إذا شفع أن ألا يشفع ، وإذا غلب ألا يحك ، وإذا قال أن لا يستمع له ، فقال رسول الله : « والله إن هذا حيز من ملء الأرض مثل هذا » .

ما أعبد حكمت يا رسول الله . يا صاحب الخلق العظيم ، يا صاحب القلب رحيم ، بارافع لواء الوحدة حقا عاليًا ! شتان بين الناس والمشهور لديهم أن الدنيا : « أفئت على أحد ، خلعت عليه محاسن غيره فإذا أعرضت عنه : سلته عما سلفه »

بل غنى النفس إن قل ماله ويغنى غنى المال وهو ذليل

هذه دروس في إحدى مدارس القرآن تنفيها ، وعبر في ساحة الإسلام عرفها . ولذلك لم تكن الآيات قصرة عرفها على واحد بمه - كذلك العالملاء سرائير - وإنما انحكم شمل وعده لمن توافرت فيه الشحفت ، لذلك حتمت الآية بشوئ تعالى : ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ .

لم غف على دث القرآن العظيم هذه الكنزة الموحزة في ميباها ، الكبيرة في معابها ، التي تفيد الذم : ﴿ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا ، وأنفسهم كانوا يظنون ﴾ [الأعراف : ١٧٧] ، حق على من توافرت فيه تلك المقدمات الخمسة أن يكون متوعا ، والشيطان له تابع .

لم إن الله أثبت في هذه الآيات أن من كانت هذه حاله فهو الظالم لنفسه . لأن الله لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴿ ولو علم الله فيه غيرا لأنصهم ﴾ [الأنتل : ٢٣] . ﴿ ولو شئنا لرفعنا بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض ﴾ [الأعراف : ١٧٦] ، ذلك لأن الهداية الربانية لا تستعصى على أحد إذا وحده عنده الاستعداد المؤدى إلى الاستجابة لأمر الله ورسوله : فهذا عمر بن وهيب - الذي كان بلقب بشيطان قرش - يقطع الطريق من مكة إلى المدينة بعد بدر ، والعزم والنصميم يدفعانه إلى قتل رسول الله ﷺ . فإذا حدث بعدما وصل وحللى أماء سيدنا

رسول الله ﷺ ؟ لقد كان عدوه نرسد وسبق إصرار على الفتل ، ولكنه لما رأى الهدى : استجاب ، فهداه الله ، وأصبح داعية يدعو إلى الله تبارك وتعالى .

لترك ابن اسحاق يروى بسنده المتصل إلى عروة بن الزبير ، قال عروة : جلس عمير بن وهب مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر يسير وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، ومن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقون منه عاء وهو بمكة ، وكان ابن وهب بن عمير في أسارى بدر ، فذكر أصحاب القلب والمصابين ، فقال صفوان : والله ما لي العيش بعدهم حير ، قال له عمير : صدقت . أما والله لولا دين علي ليس عندي فضؤه ، وعيال أحشى عليهم الغيبة بعدى ، لركبت إلى محمد حتى أقبله ، فإن لي فيهم غنة : انى أسير في أيديهم . قال : فاعتنمها صفوان ابن أمية فقال : على دينك أنا أفضيحك ، وعيالك مع عيالي ، أواسيهم ما بقوا ، لا بمعنى شيء ويعجز عنهم ، فقال له عمير : فاكته على شألي وشأنك ، قال : سأفعل ، قال : ثم أمر عمير بنفسه ، فشحذله وسم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير ابن وهب - ما جاء إلا لشر ، وهو الذي حرش بسا وحرزنا لنقوم يوم بدر - ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله ! هذا عدو الله عمير بن وهب وقد جاءكم متوحشاً سيفه ، قال : فأدخله على ، قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمضه سيفه في عنقه ، فلبسه بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عده ، واحذروا عليه من هذا الحديث ، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله ﷺ فضا رآه الرسول ، وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال : أرسه يا عمر ، ادن يا عمير ، فدنا ، ثم قال : أنعم صباحاً - وكانت غيبة أهل الحامية بينهم - فقال رسول الله ﷺ - ﷺ : - : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيةك يا عمر ، بالسلام : تحية أهل الجنة » . قال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد ، قال الرسول ﷺ : « فما جاء بك يا عمر ؟ » قال : جئت هذا الأسير الذي لي أيديكم أحسوا فيه . قال : « فما بال السيف الذي لي علقك ؟ » قال : فبجها الله من سيوف وهل أغت شيئا ؟

قال : « أصدقني ما الذي حدث له ؟ » قال : ما جئت إلا لذلك ، قال الرسول ﷺ - ﷺ : - : « بل قدمت أنت وصفوان ابن أمية في الحجر ، فلذكرنا أصحاب القلب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيال عدى طرجت حتى أقبل محمدًا . فحمل لك صفوان بدينك وعيالك ، علي أن تقتلى له ، والله حائل بينك وبين ذلك » ، فقال عمر : أشهد أنك رسول الله . قد كنا يا رسول الله بكذلك بما كنت تأتيها به من حجر السماء ، وما يهلك غيبك من نوحى ، وهذا أمر . بعرضه إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أنت به إلا الله ، وحسن الله لذي هدى للإسلام ، وسقى هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق ، فقال رسول الله ﷺ - ﷺ : - : « فقهروا أخادكم في دينه ، وعلموه القرآن ، وأعلموا أميري » ، معمر . ثم قال : يا رسول الله ، إني كنت حامداً على إطفاء نور الله ، شديد لأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي في دينهم .

فأذن له رسول الله ﷺ - ﷺ : - ، ففتح مكة . وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول : أنشدوا بوقعة فأتيتكم لآ في أبيه نسبكم بوقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عن أركان حتى قدمه راكم . وأخبره عن إسلام عمير ، فحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا يلمعه بلمع أبداً . فلما قدمه عمير - رضى الله عنه - مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤدى من حاتم أذى شديد فأسسه على يديه أناس كثيرون ، وفرج المسلمون حين هداه الله . وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : خزيير كان أحب إلى من حين طلع ، وهو اليوم أحب إلى من بعض مني وبعد أن قدم عمير بن وهب مكة - بعد أن أسلم - نزل بأهله . ولم يبق بصفوان بن أمية ، فأظهر الإسلام مودعا إليه ، ففتح ذلك صفوان ، فقتل : قد عرفت حين لا يبدأ في قبل منزله أنه قد ارتكس وصفاً ، فلا أكله أبداً ، ولا ألقه ولا عياله بافعة ، فوقف عليه عمير وهو في الحجر وباده ، فأعرض عنه ، فقال له عمير : أنت سيد من ساداتنا ، رأيت الذي كنا فيه من عادة حجر ، وذبح له . أهنا دين ؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً ورَسُولَهُ . فتم بعه صفوان بكلمة .

﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يمحى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى ،
وهو على كل شيء قدير ﴾ [الروم : ٥٠] .
وملى الله على سيدنا عماد وعلى آله وصحبه وسلم .

مسالك الشيطان وإغواؤه

فيما مضى تحدثنا عن النتائج التي رتبها الله تعالى على اتباع هذه ، وذكرنا أن
الله تعالى نفى عن هذا الفريق : الخوف والحزن والضلال والشقاوة ، ثم عدا عن
ذلك بالكلام عن الفريق الآخر ، وهو المعرض عن ذكر الله ، وتكميلاً عن النتيجة
الأولى المترتبة على الإعراض ، وهي أن المعرض عن ذكر الله سالك لطريق الشيطان .
وذلك كما جاء في معنى الكربة : ﴿ ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقبض له شيطانه
فهو له قرين ﴾ [الزخرف : ٣٦] .

واستدعى ذلك أن نبسط الكلام عن الشيطان وإغواؤه وطرقه ومسالكه ، وكيف
المصيبة منه ، وإنما بسطنا الكلام في هذا الباب ، لأنه الله جل في علاه رسم للبشرية
طريقها منذ أن هيئ آدم إلى الأرض ، ووضح مناهجها التي تسير عليها ، وذلك في
قوله جل شأنه : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ [طه : ١٢٣] .

ومن يوم أن أوحى آدم الجنة وسكنها ، والشيطان يحاول أن يرسل نوساوس وجه
ويجتهد في إخراج آدم من الجنة ، فظهرت غداوته ، واتضحت خصومته لآدم وأبيه
من بعده ، فاسب ذلك أن نبسط الكلام عن الشيطان ومكايده ، وذكر العاقبة الوخيمة
المترتبة على السير في طريقه ، وأن الصالح مع الله هو طريق النجاة . ثم إن إبليس أشهر
سلاح المصيبة ، وأمر على ذلك واستنكر ، وتولى كبر هذه المسألة عندما أمر بالسجود
فأبى ، ثم أخذ يتوعد بنى آدم - لإغواء والإضلال ، والقعود على الصراط هم ، ومن
مسالك الخير أمامهم ، فاسب ذلك التفضيل في تلك المقال : ﴿ ليهلك من هلك عن
بينه ، ويحيى من حيى عن بينة ﴾ . وكان هذا نتيجة أولى ترتيب عن الإعراض عن
ذكر الله ، وهو قوله جل شأنه : ﴿ نقبض له شيطاناً فهو له قرين ﴾
[الزخرف : ٣٦] .

والآن نستطيع أن نتكلم عن نتيجة الثانية ، وهي قوله جل شأنه : ﴿ فإن له معيشة
ضنكا ﴾ .

من المعلوم الثابت أن صريح القرآن ومنطوق آياته نفت أربعة أشياء عن منبغى هدى الله ، الذين علموا أن الصلح مع الله هو طريق النجاة ، وهذه الأشياء الأربعة التى نفت عنهم هى :

١ - الخوف .

٢ - الحزن .

٣ - الضلال .

٤ - الشقاوة .

فإذا كانت الآيات فى منظومها تنفى هذه الأربعة عنهم فيها فى مفهومها تنبها للفريق الآخر ، فيكون المؤدى أن المعرضين عن ذكر الله يعيشون فى الخوف والحزن والضلال والشقاوة . وهذه معان ظاهرة من النصوص الكريمة فى مفهوم الآيات .

والنتيجة التى نغيب أن نتكلم عنها الآن - فضلا عن هذه الأمور الأربعة التى ثبتت للمعرضين هى النتيجة الثانية ، بعدما ذكرنا آنفا . وهى النعشة حسك . وليس فى الحياة شيء أمر على الإنسان من أن يعيش فى ضيق . به حيث يتجشم الأوصاب ، ويتجرع كنوس العذاب ، وماذا إلا لأنه أعرض عن مولى ربه ، وحمل يبه وبين ذكر الله حجابا مستورا ، فيكون ماله أن يعيش فى حسرة عندم يجب حملا ويسى خمساً : يعب الخلق ويسى الخالق ، ويعب الله ويسى الحساب ، ويعب القصور ويسى القبور ، ويعب الدوب ويسى التوبة ، ويعب الله ويسى الآخرة ! يعيش فى ضيق عندما لا يعرف الإسلام إلا اسمه ، ولا المصالح إلا رسمه ، وإذا صار همه بطنه ، وقبله نساءه ، وإذا رأى غيره : حسده ، وإذا توارى عنه : اغتابه ، وإذا صارت السنة عنده بدعة ، والبدعة سنة !

ولقد حذر الرسول - ﷺ - من ذلك فقال : « إذا فعلت أمئى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » ، قبل ما هو يا رسول الله ؟ قال : « إذا كان الغم دولا ، والأمانة مفما : والزكاة مغرما ، وأطاع الرجل زوجته ، وعق أمه ، وبر صديقه ، وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات فى المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة

شره ، وشرب الخمر ، وليس الخمر ، واتخذ القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليترقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا ومسحا ، رواه ترمذى .

وهكذا يذبح الرسول - ﷺ - هذه الصورة المفصلة بين فيها حال شئ مجتمع ، إذا ما دبت فيه هذه الأمور ، واستشرت فيه تلك الرذائل ، ماذا يكون مصيره ؟

١ - حل بهم البلاء .

٢ - ريح حمراء .

٣ - الخسف وانسحق .

وكل هذه الأمور الثلاثة أو الأربعة تندرج تحت قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا ﴾ . وأى ضيق فى العيش بعدما يحل البلاء ، وتنتشر الأمراض بالريح الممرضة المزعجة ، ويترحل الخسف بالعماد ، ويحل بهم المسحق !

من قرأ هذه السورة الكريمة من سور القرآن - وهى سورة الأعراف - يجدها قد اشتملت على حقائق تاريخية ، ووقائع مؤنوق بها الأمم أعرضت عن ذكر الله ، فماذا كان مصيرهم ؟ أرسل الله إليهم رسلا مبشرين ومنذرين ، عملوا فى معسكر واحد هو معسكر التوحيد ، وانضوا تحت راية واحد ، هو قول : لا إله إلا الله ، والصورة بالغة الروعة فى عرضها لأمروس الشريع ، وشرحها وتفصيلها للأسباب التى أدت بالأمم إلى أن يزل بهم الخسف وانسحق . ويحل بهم البلاء والريح الحمراء .. فبعدما ذكر الله قصة آدم وهبوطه إلى الأرض . ساء بالحديث عن نوح وقومه ، وكانت العاقبة : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ ، وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٤] . ثم بعد ذلك ذكر هوداً وقومه ، وكانت النتيجة : ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٢] .

وذكر صالحا وقومه ، ثم كانت النتيجة : ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ، وَقَالُوا يَا صَالِحُ إِنَّا بِمَا نَعُدُّكَ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ . فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثَاءً . فَبُذِلَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلَكِن لَّا تَحْبُونَ الْوَاصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٩] .

وذكر لوطاً وقومه وكيف دعاهم إلى الإصلاح الاجتماعي ، ونذ الرذائل ، فكانت النتيجة : ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا : أخرجوهم من قريبتكم إنهم أصحاب باطنون . فأنجياه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين . وأمطرنا عليهم مطراً ، فاستورا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ [الأعراف : ٨٤] .

وذكر شعياً وقومه . وكيف دعاهم إلى الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي وذكرهم بعملة الله عنهم ، فماذا كانت النتيجة ؟ ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لخروجك بالشعب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لنعودن من ملأنا ، قال أولو كما كارهين . قد اتريها على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذا نجانا الله منها ، وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ، ومع ربنا كل شيء علماً ، على الله توكلنا ، وبما اتفق بيننا وبين قوما بالحق ، وأنت خير الفالحين . وقال الملأ الذين كفروا من قومه لنن ابهم شعياً إنكم إذا لحاسرون فأخذهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثئين . الذين كذبوا شعياً كأن لم يدعوا فيها . الذين كذبوا شعياً كانوا هم الحاسرين . فويل عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ [الأعراف : ٨٨ - ٩٣] .

هذه دروس في التاريخ ففسها الكتاب الحكيم ووقائع أهم مضيت وبقيت شواهدا وآثارها على الأرض . قال تعالى : ﴿ وإنكم لهم مصبحين . وبالليل ، أفلا تعقلون ﴾ [الصافات : ١٣٧ ، ١٣٨] .

وبعدما قس هذه الدروس بين ستة الله الباقلة في حلقه ، وهي ثابثة لا تتحلف ، فقال جل شأنه : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم مركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

لقد حذر الرسول - ﷺ - من أمور قال في إحداها : « لم تظهر الناحشة في قوم حتى يعملوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في سلافهم » ، وقال في ثانيها : « ولم يمتعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهايم لم ييطروا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المونة وجور السلطان » .

والله تعالى يقول في الحديث القدسي الجليل : « أنا الله لا إله إلا أنا ، مالك الملك ، وملك الملوك ، قلوب الملوك في يدي ، وإن العباد إذا أطاعوا حولت قلوب ملوكهم

ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وإن العباد إذا عصوا حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والقصة ، فساموهم سوء العذاب ، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على ملوككم . ولكن اشغلوا أنفسكم بذكرى ، والقرب إلى : أكتفكم ملوككم » .

اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان والإسلام ووفنا إلى ما فيه محبتك ورضيت وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

يخذر الرسول - ﷺ - من أمور أخرى تفيد وقوع البلاء بالخلق فيقول : « لا يزي الزاني حين يزل وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .. ولما كانت الخمر أم الكبائر ، فقد كانت كلمات الرسول فيها كأنها الرعود القواصف .. فاستمع إليه يقول : « لعن الله الخمر وشاربها وسالبيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومنصرها وحاملها واغتملة إليه ، وزاد : (وأكل ثمنها) .

وقد أئذ الرسول - ﷺ - وأوعده بأمور قد تحدث لقوم عكفوا عن نفعية .. فاستمع إلى قوله في الحديث الشريف : « بيت قوم من هذه الأمة على ضغاه وشراب وهو ولعب ، ليصبحون قد مسخوا قردة وخنازير ، وليصينهم حشف وقصف ، حتى يصبح الناس ليقولون : خسف الليلة بيني فلان ، وخسف الليلة بدار فلان خواص ، ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط . على قاتل فيها وغل دور ، ولترسلن عليهم الریح العقيم التي أهلكت عاداً على قاتل فيها وغل دور ، بشربهم الخمر ، ولبسهم الحرير ، واتخاذهم الليناث . وأكلهم الرما ، وقطيعتهم الرحم » رواه أحمد وابن أبي الدنيا والبيهقي .

ويزيد الرسول - ﷺ - هذه الأمور تحذيراً فيقول : « من رى أو شرب الخمر : نزع الله منه الإيمان كما نزع الإنسان القميص من رأسه »

والذي يتصفح السمة المنهجرة ويقتب في مطوعها نجد من الدعوة إلى الإصلاح والتحذير من المعاصي التي تكون سبباً في إنزال البلاء والمعيشة الفسك .. نجد ما يحفز ويدعو إلى أن يقف أمام الهدى النبوى سامعاً ومطعماً وملهماً ، وشاكراً لرسول الله - ﷺ - فضله . وهذا حديث عندما قرأته شعرت كأنني أغدو وأروح كالطير يتشى من الألم وهو مذبوح . قال رسول الله - ﷺ - « إذا استحل مني خماً فعليهما الدمار :

إذا ظهر التلاعن ، وشربوا الخمر ، ولبسوا الحرير ، واتخذوا القبايا ، واكفى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء .

وفي شرب الخمر تنح الأضرار الآتية :

- ١ - تنزع من الشارب أنوار الإيمان حين شربه .
- ٢ - استحق لعنة الله وطرده من رحمته .
- ٣ - شربها يدعو إلى جلب المصوم وتضييق الأرزاق .
- ٤ - لا يقدم على شربها إلا العاصي الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر .
- ٥ - شربها يجر إلى الوقوع في ارتكاب المعاصي كلها .

٦ - يعذب الله الشارب ما يوم القيامة .

٧ - حرم الله عليه الجنة إذا شربها مستعللا لها .

٨ - عذاب شارب الخمر كعذاب عامة المصوم .

٩ - ينشر يوم القيامة شهيد النفس .

١٠ - لا يقبل الله منه عادة أربعين يوما .

١١ - شارب الخمر يستحق الإهانة والأزدراء والتحقير واخذ كما قال الرسول -

ﷺ : (لا تسلموا على شربة الخمر) .

١٢ - شارب الخمر يعل عليه غضب الله ، ولو مات في هذه الحالة حرم من ثوابه

الله ورحمته

١٣ - السكران إذا مات على حاله يعذبه الله بسكره وينوق مرارة فعله هذا في

قبره .

١٤ - شرب الخمر إحدى الخصال المدمرة القائمة المذهبة للثروة المضطربة للنفس ،

حالة للنفس

وكل هذا مدرج تحت قوله تعالى : ﴿ فإن له معيشة ضاكت ﴾ ومن ثم فإن

الرسول - ﷺ - في نصحه ينهي عن هذه الموبقات . استمع إليه وهو يفتح أفق البراءة فيقول : لا تشرك بالله شيئا ، وإن قطعت ، وإن حرقت ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا ، فمن تركها متعمدا فقد رقت منه الذمة . ولا تشرب الخمر ، فإنها مفتاح كل شر . . . وقد بلغ من حذر الصحابة وخوفهم من أن يقتربوا شيئا من هذه الأشياء المؤدية إلى حجاب غضب الله واستحقاق نزول عقوبته - بلغ من حذرهم في هذا حد أن بعضهم كان يسأل الرسول - ﷺ - عن خير لعمله ، وبعضهم يسأله عن شر ليحسبه ، فإن من لا يعرف الشر أخرى أن يقع فيه . . . فهذا اختراع بين بعض الأصحاب . بعد وفاة الرسول - ﷺ - . ولذا ذكر الحديث الذي دار فيه حتى نقف على مدى حرص هذا المجتمع على لطافة بأوسع معارها : ثقافة القلب وعصاة النفس ، وعصاة الخوانج . . . وإليك هذه الصورة الحقيقية :

روى سالم بن عبد الله بن أبيه : أن أبا بكر وعمر وأبا سفيان حينما وفدوا على النبي - ﷺ - فذكروا أعظم الكبائر ، فلم يكن عندهم منها علم ، فأرسلوا إلى عبد الله بن عمر أسأله ، فأخبر أن أعظم الكبائر : شرب الخمر ، فأتيتهم وأخبرهم ، فأكبروا ذلك ، ووثقوا إليه جميعا ، حتى أتوه في داره فأخبرهم . . . رسول الله - ﷺ - قال : إن ملكا من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلا فغيره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفسه أو يزني أو يأكل لحم خنزير أو يشرب الخمر ، فاختار الخمر ، وإنه لم يشرب الخمر ، لم يمتنع من شيء ، أرادوه منه . . . وأن الرسول - ﷺ - قال : ما من أحد يشرب فلا تغفل له صلاة أربعين ليلة . ولا يموت وق مناته منها شيء إلا حرمت بها عليه الجنة ، فإن مات في أربعين ليلة : مات ميتة جاهلية ،

وفي هذا المعنى يروى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : . . . اجنوا أم الحياث ، فإنه كان رجل من كان قبلكم يتعد ، ويعزل الناس ، فعلقه امرأة فأرسلت إليه خادما : إنا ندعوك لشهادة ، فدخل ، فطفت كلما يدخل بابا أغلقته دونه ، حتى إذا أفضى إلى امرأة وضينة جالسة وعدما غلاه وباطية فيها خمر ، فلالت إنا لم ندعك لشهادة ، ولكن دعوتك لقتل هذا العلام أو تقع على ، أو تنرب كأننا من خمر ، فإن أبيت صحت بك وفضحتك ، قال : فسلم

ورأى أنه لابد له من ذلك قال : استغنى كاساً من الخمر ، فسلبه كاساً من الخمر .
فقال : زبدي ، فلم نزل حتى وقع عليها ، وقيل النفس .

فاجتنبوا الخمر ، فإنه والله لا يجتمع إيمان وادمان خمر في صدر رجل أبداً ، وليوشكن
أحدهما أن يخرج صاحبه

ويستمر الرسول - ﷺ - في بيانه وإرشاده في تطهير المجتمع ، والأخذ بيده إلى
بر السعادة ، وتحذيره من الوقوع في الفاذورات ، فيدل هذا الإنذار الشاهد الخامس
يقول - ﷺ - : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكهم ، ولا ينظر إليهم ،
ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب وعاتل مستكبر ، ويزيد الرسول
- ﷺ - لبيان هذه الموبقات وأنها تبغض صاحبها عند الله فيقول : أومعة يعجبهم
الله : اليباع الخلاف ، والفقير الخيال ، والشيخ الرائي ، والإمام الخائر .

ومن الموبقات التي تورث صاحبها غضب الله ، ما جاء في قول الرسول - ﷺ - :
أياكم وعقوق الوالدين ، فإن ربح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ، والله لا يجدها
عاق ولا قاطع رحم ، ولا شيخ زان ، ولا حار إزاره خلاء ، وإنا الكرياء لله رب
العالمين .

وقد حذر الرسول - ﷺ - من إفشاء العذاب بالأمة ، ثم ينش فيهم ولد الزنا .
فإذا قسا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمهم الله بعذاب ، رواه أحمد ، وقال أيضا : إذا
ظهر الزنا والزنا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله ، رواه الحاكم .

واسمع إليه - ﷺ - وهو يدعو إلى تطهير الأسرة من أن يخل بها الداء الويل فيقول
حين نزلت آية النكاح : أيما امرأة دخلت على قوم من ليس فيهم فليس من الله
في شيء ، ولن يدخلها الله جنته . وأما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب
منه يوم القيامة ولضعفه على رؤوس الأولين والآخرين ، رواه أبو داود والسنائي . من
حبان .

وها هو ذا الصحابي الجليل ابن مسعود يقول : سألت رسول الله - ﷺ - :
أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . قلت : إن دنت لعنيم ،
ثم أي ؟ قال : أن تغفل ولدك مخافة أن يتعلم مملوك ، قلت : ثم أي ؟ قال : أن ترائي

حنيفة جارك ، رواه البخاري ومسلم ورواه الترمذي والسنائي . ويقول الله تعالى
في الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا باخق .
ولا يزنون . ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويملأ به
مهاماً [الفرقان : ٦٨] .

ول حديث جامع يذيع الرسول - ﷺ - يذم عن الأمة بعد مبة من ذنوب سميت
موبقات - أي المهلكات - فيقول الرسول - ﷺ - : اجتنبوا تسع الموبقات ،
فمن : رسول الله وما من ؟ قال : الشرك بالله والسحر ، وقيل النفس التي حرم
الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم وأكل الربا ، والنوى يوم الزحف . ولقد أخطأت
العائلات المؤمات ، رواه بخاري ، ومسلم ، وأبو داود والسنائي .

ثم اتبع إلى رسول الله - ﷺ - وهو يحدنا عن مرض من أحبط الأبرار
الاحتجاجية ، يعتبر الآن فاكهة الخاليس بين الناس ، ومع كونها فاكهة فاسدة وعيبة إلا
أن سوفها راتحة . فما أكثر الخاليس التي تفده فيها هذه الأطباق من حكمة الفاسدة :
ألا وهي العيبة ! ولعبة هي ذكر أحبك فما بكروه وهو عتب . مبه . كان فيه . من
عنه . وإن لم يكن فيه فنه . به . يقول سموت الله وسلامه فيه : إن الدرهم
بفضه الرجل من الربا أضلم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين رتبة يزنها الرحمن .
وإن أرى الربا عرض الرجل المسلم ، رواه ابن أبي الدنيا . وفيه : أشد .
وإن الربا وأحبث الربا : حرك حرص نفسه وحرمة .

لهم إنا نسألك أن تحفظ ما حفظت منه عبادك الصالحين وأوجهات المؤمنين . ومن
الله حل سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

استمع معي أحمى المسلم إلى هذا تفاوض الخانع من دورس خربة الاحتجاجية في
صورة استفتاء وجواب ، ليكون الأسلوب أخذك الحامر للهمة تستير المعاني .
إليه - ﷺ - وهو يسأل أصحابه : أندرون من المغلس ؟ قالوا : المغلس فيما من
لا درهم له ولا متاع ، فقال : المغلس من أمي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة ،
وبأني وقد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ،
فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فئت حسناته قل أن يقضى ما
عليه ، وأخذ من خطاياهم فطرحه عليه ، ثم طرح في النار ، رواه مسلم والترمذي

وفي حديث جامع آخر يقول - عليه السلام - : « خمس ليس لمن كفارة : الشرك بالله ، وقتل النفس بغير حق ، وبیت مؤمن ، والفرار من الزحف ، وبمين صابرة يقطع بها مالا بغير حق » رواه أحمد .

فإذا استقرأنا أحاديث الرسول - عليه السلام - في الفاكهة الفاسدة التي عميت بها البلوى ، وسودت صفحات العباد عند الله ، وعنتك الأسرار ، وأشاعت مستور الأمور ، واخرت على الناس كذبا وبهانا .. فما هي النتائج التي نستطيع أن نخرج بها من مجموعة هذه الأحاديث ؟

يقول الأستاذ مصطفى محمد عمارة : إنها ست عشرة نتيجة تجرأها الغيبة على صاحبها .

- ١ - يرتكب حراما .
- ٢ - فعل ما هو أكثر عقابا من الربا .
- ٣ - استنظم لحم أخيه وأساعه .
- ٤ - يمنع صومه .
- ٥ - كونه كليل ما هو أشد من الخبيثة .
- ٦ - يعذب في النار بأكل التبن القذر .
- ٧ - لا يفر الله به حتى يعفو عنه العذاب .
- ٨ - ينال عقاب الله في قبره .
- ٩ - تذهب أنوار إيمانه .
- ١٠ - يقابل الله بلا حسنة وعاملا بالخطايا .
- ١١ - يسمر عذابه في النار .
- ١٢ - يذوب جسمه حتى يحقق غيته .
- ١٣ - لا يجد لفعله فدية (أن كفارة) .
- ١٤ - يشرب شرب عرق أهل جهنم .

١٥ - يجلس على فطرة جهنم مدة طويلة .

١٦ - لا ينصره الله ، ولا يساعده دنيا وأخرى .

أعنت يا أخى الأسباب الدنية والأغراض المحقرة ، التي تدفع صاحبها إلى الغيبة ؟ يجيب على هذا السؤال حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله فيقول : اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أحاك بما يكره لو بلغه : سواء ذكرته بنقص في بدنه ، أو نسيه أو في خلقه ، أو في فعله ، أو في قوله ، أو في دينه . أو في دنياه ، حتى في ثوبه ، وداره ، ودابته .

أما البدن : فكزكرك العيش والحول والقرع ، والقصر ، وسواد ، والصفرة . وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكره كيئما كان . وما النسب : فبأن تقول : أوه نبطي ، أو خسيس ، أو شيء مما يكرهه كيفهما كان . وأما الخلق : فبأن تقول : هو متبور ، وما يجري مجراه ، وأما في أفعاله المتعلقة بالدين ، فكقولك : هو سارق ، أو كاذب ، أو شارب خمر ، أو حش ، أو ضالم ، أو منهون بالفساد أو بركاة ، أو لا يحسن الركوع ، أو السجود ، أو لا يجترأ عن سحابت ، أو يسير بغير حياء ، أو لا يضع الركاة موضعا ، أو لا يجلس فسحتها ، أو لا يجرس صوته عن بركت وعبادة وعرض لأعراض الله .

وأما فعله المتعلق بالدنيا : إنه قليل الأدب ، مهان بالناس ، أو لا يرى لأحد من نفسه حقاً ، أو يرى لنفسه الحق على الناس ، أو أنه كثير الكلام ، وكثير الأكل ، ونوم ، ينام في غير وقت النوم ، ويجلس في غير موضعه . ولما في ثوبه . دكتولت . إنه وسع الكرم ، طويل الذيل ، وسخ الثياب .

وذكر الغير ثلاثة أقسام : الغيبة ، والبهتان ، والإفك . فالغيبة : أن تقول ما فيه . والبهتان : أن تقول ما ليس فيه . والإفك : أن تقول ما يهلك .

ثم يستطرد الإمام الغزالي قائلا : والأسباب الباعثة على الغيبة هي :

- ١ - أن يشفى الغيظ .
- ٢ - موافقة الأقران ، ومجاملة الرفقاء ، ومساعدتهم على الكلام .

٣ - أن يستشعر من إسان أنه مبعده ، ويلول لسانه عليه ، أو يفتح حاله عند
محبت أو يشهد عليه بشهادة .

٤ - أن يتسبب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله .

د - إرادة التمتع والمباهاة .

٦ - اخشع : فيريد زوايا نعمة من هو أحسن منه .

٧ - النعب ، والحزل ، والمطاية ، وترحية الوقت بالصحك .. فيذكر عيوب حبه
بما ينضحك الناس على سبيل المحاكاة ، ومنشؤه النكير والمحبة .

٨ - السحرية والاسهراء والاحتقار له .

وجعل جلال الله إذ يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ . إِنَّ بَعْضَ
الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا يَغْنَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا ، أَيُّبِ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَحِبِّهِ
مِمَّا فُكِّرْتُمُوهُ . وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المحررات : ١٢] .

● وقفة اعتبار وعظة ●

وبعد هذا الحشد السوي من الأحاديث الشريفة ، وهذه الإنذارات العاصدة
مطاطعة ، نجد لزاما علينا أن نقول : إن الإعراض عن ذكر الله صهر لنا جليبا في
ناحيين : أمم عصت أنبياءها وكذبت خفاء ربها ، وهذا ما ذكرناه في دروس القرآن
مكرها ، وهو يقص علينا من أنبياء ما قد سبق ، ويتلو حل جلاله في ذلك : ﴿ تِلْكَ
الْمُفْرَى بِقَصِّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ لَمَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِهَا
كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْكَافِرِينَ . وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ
عَهْدٍ . وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ .

د - الرسول - ﷺ - قد سبق لنا هذا الحشد الكبير من الإنذارات
وتوجيهات من دروس التربية السوية ، فإنه بين لنا صورة أخرى من صور الإعراض
عن ذكر الله ، وهي اقتراف المعاصي ، وفعل الموبقات . كما ذكر في الأحاديث الشريفة
سابقة لرسول الله - ﷺ - . وكلا الإعراضين في صورته يخدر به الإسلام وبهوى
عن الموبقات فيه . لأن الإنسان العاقل هو الذي يعتبر عند المعاصي من الأمم ، ويأخذ
من أحداثهم عبرة ودرسا : ﴿ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ [سجدة : ٢٦]

وهكذا يستشعر الكتاب تخرير في اسماح العبر في أحداث أمم أدرجت في أكتاف
فسر ، واستعها العذاب مدواها في دمة تاريخ . اسمع بن قول الله تعالى تعليقا حل
حدث ث . . . أوط : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مَا آيَةُ بَيْتَةِ لِقَاؤِهِمْ يَعْقِلُونَ ﴾ . ثم اسمع التعقيب
في سورة الدبريات على خمسة مسموها : ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴾ [الدبريات : ٣٧] . وكذلك في سورة [القمر] يعقب على ما حدث لقوم
سوح : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مَا آيَةُ فَيْلٍ مِنْ مَذْكَرٍ ﴾ [القمر : ١٥] . ثم اقرأ سورة
[شعراء] عند تعقيب القرآن على أحداث الأمم بعدما حل بها ما حل من عتاب الله
تجد هذه الآية تنادي وتنزل : ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنْ
رَبُّكَ لَرَّ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ .

ثم إن الإداعة الربانية لا تفك غدر وتندب : ﴿ أَفَأَمَّنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا

بيننا وهم فائزون . أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحي وهم يعلمون أقاموا
مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . أو لم يجد للذين يرثون الأرض
من بعد أهلها أن لو نشاء أصنافهم بذنوبهم ونطع على قلوبهم فهم لا يسمعون ﴿
[الأعراف : ٩٧ - ١٠٠] .

إن الإنسان الناصر وهو يتقل مع الحوادث في المشهد القرآني الرائع لا يستطيع أن
يتك قننه من احقاق وأعصابه من الرعدة وحواشه من تشعبيرة التي تنشأ : أحداث
حسام ، وعبر عظام ﴿ إن ربك ليأمرصاد ﴾ [النحر : ١٤] . ﴿ فكلا أخذنا بذنبه
فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفا به
الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾
[المنكوت : ٤٠] .

وجل جلال الله إذا يقول : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض
عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [طه :
١٢٣ - ١٢٤] .

وهكذا يكون الصلح مع الله .. هو طريق النجاة .

فهم أعدنا لأحسن الأعمال فإنه لا يهدى لأحسنها إلا أنت . وثبت قريبا على
الإيمان والإسلام ، فأبك بالإجابة جدير وعلى كل شيء قدير وحلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم .

من النتائج المترتبة على الإعراض عن ذكر الله : معسر المعرض يوم القيامة .. كبد .
يخسر بين الناس ، وماذا يقول ، وبأى شيء يرد عليه .

كانت النتيجة الأولى المترتبة على الإعراض بقوله جل شأنه : ﴿ نقيض له شيطانا
فهو له قرين ﴾ [الزخرف : ٣٦] ، وجاءت النتيجة الثانية وهى قوله جل شأنه :
﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ . وما نحن أولاء أمام أخطر النتائج المترتبة على ذلك ، وهى
موقفه من الحشر يوم يقوم الناس لرب العالمين . ذلك لأن النتائج الماضية كانت فى
دار الدنيا .

أما هذه النتيجة : ففى دار الآخرة التى لا نهاية بعدها ، وفى يوم وصفه الله بأوصاف

تخلع ما القلوب ، وتشتعل من هوى النفوس : ﴿ وانقوا يوما ترجعون فيه إلى الله .
ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ [البقرة : ٢٨١] . ﴿ فكيف إذ
جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ . ﴿ فكيف
تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا . السماء منفطر به ، كان وعده مفعولا ﴾
[الزمل : ١٧] . ﴿ يأتئها الناس انقروا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يره
ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ﴾ [الخ : ١] .

إنه العظمة الكبرى : ﴿ يوم يندكر الإنسان ما سعى ﴾ [البقرة : ٣٥] . و .
الصاحبة : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبه وبنيه . لكل امرئ منهم
يومئذ شأن يغنيه ﴾ [عبس : ٣٥] . وإنه الساعة : ﴿ بل كذبوا بالساعة ، وأعدده
لمن كذب بالساعة سعيرا ﴾ [الفرقان : ١١] . وإنه الحاقة : ﴿ وما أدراك ما
الحاقة ﴾ [الحاقة : ٣] . وإنه القارعة : ﴿ وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس
كالفرش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ [القارعة : ٥] . وإنه العاشية
﴿ هل أتاك حديث العاشية ﴾ [العاشية : ١] . و . يوم الحسرة : ﴿ وأنذرهم يوم
الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ [مريم : ٣١] ، وإنه يوم
البعث : ﴿ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لنبحم فى كتاب الله بى يوم البعث
فهذا يوم البعث ﴾ [الروم : ٥٦] ، وإنه يوم الآفة : ﴿ وأنذرهم يوم الآفة إذ
القلوب لدى الخاخر كاطمين . مالم الظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعمه خاتمة الأعداء
وما تحفى الصدور ﴾ وإنه اليوم الموعود : ﴿ والنساء ذات البروج ويوم الموعود ﴾
[البروج : ١٣] ، وإنه اليوم الآخر : ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾
[النساء : ٥٩] ، وإنه يوم التلاق : ﴿ لينذر يوم التلاق . يوم هم يارزون . لا يخفى
على الله منهم شيء . لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . اليوم تجزى كل نفس ما
كسبت . لا ظلم اليوم ، إن الله سريع الحساب ﴾ [غافر : ١٧] ، به يوم الوعيد :
﴿ ونفخ فى الصور ، ذلك يوم الوعيد . وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد . لقد
كنت فى غفلة من هذا ، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ [ق : ٢٢] .
وإنه يوم التناد : ﴿ ويقومون إلى أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مالكم من الله
من عاصم ، ومن يضل الله فما له من هاد ﴾ [غافر : ٢٣] ، وإنه يوم القيامة

﴿ لا أقسم يوم القيامة . ولا أقسم بالفس اللزامة ﴾ [القیامة : ١ - ٢] ، وإنه يوم العرض على الله : ﴿ وعرضوا على ربك صفًا . لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ [النكهف : ١٨] .

أسماء تعددت مسمى واحد ، وما ذاك إلا لعظم هوله ، وكبر شأنه ، وحيل حفره . وعظيم ما سحرى فيه .. إنه اليوم الذى سيقف فيه الإنسان أمام محكمة العدل الإلهية الكبرى ، يسأل عما قدمت يداه : ﴿ فلو ربك لسألن أجمعين . عما كانوا يعملون ﴾ [الحجر : ٩٢ ، ٩٣] ، ولا حجة ولا عذر : ﴿ هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ [المرسلات : ٣٥ ، ٣٦] .

لقد حفت الأقلام ، وضربت الصحف .. إن قلت : لم لم يسلنى إلهار بهذا اليوم وبذلك الهاكمة ؟ فالإلهار نقرأ فى صلواتك . فى كل ركعة ، وفى دحة الكتاب : ه مالك يوم الدين . فإن قلت : فهل أستطيع أن أحضر اليوم شهودا ؟ كان الخواب : ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفىهم الله دينهم الحق . ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾ [البور : ٢٤ ، ٢٥] . ففت : هل أستطيع أن أوكل من يدفع عني ؟ كان الخواب : ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك . كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ [البقرة : ١٣] . [١٤] . فإن قلت : هل أستطيع أن أستأنف الحكم ؟ كان الخواب : ﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه . وهو سريع الحساب ﴾ . ﴿ ما يدل القول لدى وما أما بظلام نعيم ﴾

ولسوف نعرض عليكم نماذج من الأسئلة أحضرها لنا نرى الله محمد - عليه السلام - ليكون على علم بها فى الدنيا ﴿ من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خنة ولا شفاعة ﴾ و ﴿ من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ﴾ ، وحتى تستعد بجاهة عن هذه الأسئلة وتعمل ما ، سيقول لك الحاكم الأعلى : ه شبانك فى أبهله ؟ وعمرتك فى أعبته ؟ ومالك من أين اكتسبه ؟ وفيه ألقته ؟ وعلمك ماذا صنعت فيه ؟ وسيقول لك الحاكم الأعلى جللى علاه : عدى مرضت فلم تعدلى ، ونقول : وكيف أعودك وأنت الله رب العالمين ؟ فيقول لك : مرض عدى فلان فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ عدى ! استنعمتك فلم تطعمنى . ونقول : وكيف أنعمت وأنت

الله رب العالمين ؟ فيقول لك : استنعمتك عدى فلان فلم تطعمه . أما علمت أنك لو أنعمته لوجدت ذلك عدى ؟ عدى ! استنعمت فلم تنسى . ونقول : وكيف أسقيك وأنت الله رب العالمين ؟ فيقول لك مولانا : استسقاك عدى فلان فلم تنسه . أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عدى .

فهل أحسرت الجواب على هذه الأسئلة ؟

١ - يوم عمل ولا حساب ، وعدا حساب ولا عمل ، وبه نصور المصحف عن العباد سيكون مشهما ملنا بالخوف والجلال .. فيها هو من يأخذ كتاب يمينه يصيح : ﴿ هاؤم اقرأ كتابه ﴾ وما هو ذا الذى يأخذ الكتاب يشتمه يقول : ﴿ يا لئس لم أوت كتابه ﴾ ويقول الأول : ﴿ إلى طست أن ملاني حسيبه ﴾ [الحاقة : ٢٠] ويقول الثانى : ﴿ ولم أدر ما حسيبه ﴾ [الحاقة : ٢٤] ، فيكون مصير الأول : ﴿ فهو فى عشة راضية . فى حة عالية ، فطرقها ذابة . كلوا واشربوا هينا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ﴾ [الحاقة : ٢٥] . ويكون موقف ثانى ندما وحسرة حيث لا يجمع الله . ولا تحدى الخسرة : ﴿ يا ليتنا كانت القاصية ما أغنى عنى ماله . هلك عى سلطانيه ﴾ [الحاقة : ٢٩] . ويكون مصيره : ﴿ حذره فعلوه . ثم الحجي صلوه . ثم سسمة ذراعها سمعون ذراعا فاسلكوه . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحصى على طعام المسكين ﴾ [الحاقة : ٣٩]

ثم يأتى العذاب سوجبه : النسيان والجسماني : ﴿ فليس له اليوم هاهنا حميم ﴾ [الحاقة : ٣٥] . هذا عذاب النفس . وما أشد وقته وأنه ولوعه ! إن العوائد ليستمر عندما يسمع هذه الآية ، وإن النفس تسيل مرارة لوفها .. ثم يأتى لعذاب الجسماني ﴿ ولا طعام إلا من غسلين . لا يأكله إلا الخاطئون ﴾ [الحاقة : ٣٧]

وإن هذه السورة - [سورة الحاقة] لى أمانتها الحاسمة القاطعة ، الشديدة الفوارق القاطعة الزواجر - لذكرى بموقف عمر رضى الله عنه إذ يقول : أول ما دخل الإسلام لى فلى سمعت رسول الله - ﷺ - يقرأ من سورة [الحاقة] فقلت فى نفسى : إن هذا الكلام كلام شاعر ، فإذا هو يقرأ أسرها ﴿ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ﴾ [الحاقة : ٣٥] .

الاعتبار بأهوال القيامة

إليك أخى المسلم قول رسول الله - ﷺ - فى موعظة له يحضر من أهله - يوم القيامة :

فى حديث رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى يقول حبيب بن رضى وسلامه عليه : يا أيها الناس : إنكم تمشون إلى الله حفاة عراة غرلا : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] . ألا وإن أول الحلائل يكسى : إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سبحانه برجال من أمى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب : أصحابي فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شئ شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [المائدة : ١١٧] ، قال : فيقال لى إنهم لم يزالوا مرتدين عن أعقابهم منذ فارقتهم !

- ما أهول هذا اليوم ، وما أشد خطره على النفس إذا خالفت وانحرفت .. فبهم أولاء قوم غيروا وبدلوا بعد رسول الله - ﷺ - فلم يسمعه يصددهم فى هبة المطاف إلا أن فرض الأمر إليه : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [المائدة : ١١٨] .

وتأمل معنى ختام هذه الآية وتذليلها ، وكيف ختمت بالعمرة والحكمة .. إنه لا يقدر على العذاب إلا العزيز الذى لا يعيب ولا يقهر فإذا ما غفر وعفا : فمغفرته وعفوه لا عن طريق العيب ، وإنما هو مقتضى الحكمة الإلهية المطلقة ، فجعل التذليل مسببا لسباق الآية ، فماذا كان جواب الله ؟ قال تعالى : ﴿ هذا اليوم نرفع الصادقين صدقهم ، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم وورضوا عنه ، ذلك الفوز العظيم ﴾ [المائدة : ١١٩] .

فقلت فى نفسى : إنه قول كاهن ، فسمعتة يقرأ فى آخرها : ﴿ ولا يقول كاهن ، قلبها ما تذكرون ﴾ [انمارج : ٤٢] ، فقلت : إنه قول محمد ، فسمعتة يقرأ ﴿ تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ [٤٣ - ٤٧] .

وكانت الخيوط الأولى من فجر إسلام الفاروق قد أخذت تملأ أفق قلبه ، وتغزو بأضوائها الآله أعماق نفسه : فبعد أن كان جبار الجاهلية أمر الله به الدعوة فأصبح عملاق الإسلام . إنه القرآن الذى أخرج أمما من ظلمات الجهالة إلى نور العلم ، وهبت به شعوبا من موتها لتنفود سفينة العالم الحائرة فى خضم المحيط إلى بر النجاة . اللهم آت قلوبنا تقواها وزكها أنت خير من رعاها . وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

يا ابن آدم

أنت الذي ولدتك أمك باكيا والناس حولك يضحكون مسرورا
فأعتمد إلى عمل تكون إذا بكرا في يوم موتك ضاحكا مسرورا

ماذا يكون موقف المعرض عن ذكر الله إذا جمع بين غنى مصر وغنى البصرة ؟
وماذا يكون موقفه من قول الرسول - ﷺ - : « يحشر الناس يوم القيامة على أصناف ثلاثة : صنف مشاه ، وصنف ركبانا ، وصنف على وجوههم . قيل يا رسول الله : وكيف يحشون على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يحشيه على وجوههم ، أما إنهم يتفون بوجوههم كل حذب وشوك ، رواه الترمذي .
فأرى بين ما اشتمل عليه هذا الحديث من أصناف الناس ، ثم يادر به تأخذ لنفسك موقف الذين يحشون إلى الرحمن وقد أغرا عجلين . وجوههم خضرة ، إلى ربها ناظرة .
ومسفرة ضاحكة مبشرة :

دياك ساعات سراع الزوال وإنما العقبى خلود المآل
فهل تبيع الخلد بما عاقلا وتشتري دنيا المني والضلال ؟

ثم تصور هذا الموقف من مشاهد يوم القيامة ، والذي يقول فيه رب العزة : « كل نفس بما كسبت رهينة : إلا أصحاب اليمين . في جنات يتساءلون . عن الجرمين . ما سلككم في سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نحول مع الخائفين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين . فما تلغهم شفاعة الشافعين » [المائدة : ٣٨ - ٤٨] .

ثم يعبر عن هذا كله من : ترك الصلاة ، وإطعام المسكين ، وما يليه من الخوض مع الخائفين والتكذيب بيوم الدين . يعبر عنه إعراض عن التذكرة فيقول : « فما لهم عن التذكرة معرضين » [المائدة : ٤٩] . ثم تأتي العدة المشحنة لتصور الموقف الذي يلي هذا فإذا هو مرعب ومؤسف وعجز : « كأنهم حمر مستفزة . فرت من قسوة » . تصور : مجموعة من الحمر تنفر أمام أسد شجاع مقدمه ، ماذا يكون شدة

نفورها ؟ إنه من الشدة بمكان لا يسامى ، فهلا وقفت على هذه حقائق ؟ هلا كنت من المسلمين ، ومن الذين يطعمون المسكين ؟ هلا احتسبت الخوض مع الخائفين ؟ هلا صدقت وأبقت بيوم الدين ، وظللت على هذا حتى أتاك الموت والوعد اليقين ؟

إن كنت يا أخى قد وفيت بكل هذا فقدم الشكر لله وقل : اللهم ما أصبح من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر . وإن كنت مقصرا في أحد هذه الأمور فلا تلومن إلا نفسك ، وادع بالعمل الصالح كما قال السيد الخليل سيدنا رسول الله - ﷺ - : « يادروا بالأعمال الصالحة بعد هل تنظرون إلا فقرا منسيا ، أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسدا . أو هرما مفندا . أو موتا مجهزا ، أو الدجال ، فشر غائب ينتظر أو الساعة ، والساخنة أدهى وأمر ، وقف عند قول رسول الله - ﷺ - : « أو موتا مجهزا » ، وتصور موت وهو يتفكر على ابن آدم المسكين انقضاء السباع المفترسة على فريستها ، ثم يثقل بعد الغدا : والعنصرة وروث الحياة والتسم في طيب روائحها .. يثقل تحت أسف ترى حامدا ورفاتا حقيقا ، وصعيدا جريزا .. ما هذا الغر ؟

أتيت القبور فادبتها فأبين العظيم والحقير ؟
وأبين المدل بسلطانته وأبين المزكى إذا ما افتخر ؟
والجواب :

تساووا جميعا فما نجز وماتوا جميعا ومات الحر
تروح وتغدوا بسات الرزق فصحو محاسن تحت الصور
فيا سائل عن أناس مضوا أمالك فيما مضى معتبر ؟

يا الله ! يا الله ! إنه رهيب ! ماذا بعد الموت ؟ القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفرة النار ! فبها أعددت الزاد لليلة صبحها يوم القيامة ؟ وهلا استمعت من رسول الله - ﷺ - حيث يقول : « تجتمعون يوم القيامة فيقال : أين فقراء هذه الأمة وماكينها ؟ فيقومون ، فيقال لهم : ماذا عملتم ؟ فيقولون : ربنا ابتلينا فصبرنا . ووليت الأموال والسلطان غيرنا ، فيقول الله عز وجل ، صدقم ، قال : فيدخلون الجنة قبل الناس ، وتبقى شدة الحساب على ذوى الأموال والسلطان ، قالوا : فأين

الخاتمة

بم يكون الصلح مع الله ؟

أردت أن أختتم هذه الصفحات التي اشتملت على هذه الموضوعات بهذه الخاتمة سائلاً الله أن يجعلها مسكناً ، وأن يحري نبينا محمداً - ﷺ - عن حير ما حير نبياً عن أمته .. فهو الذي عرفنا الطريق إلى الله ، وبصرنا بسلوك خير طرق ، ورسد أمامنا الطريق المستقيم ، وهو أقرب صلة بين نطفين .

بارسول لله :

أنت الذي لما رفعت إلى السما	بك قد سميت وتزيت لسراك
أنت الذي ناداك ربك مرحباً	ولقد دعاك لقرب وجباك
وخفضت دين الشرك يا علم الهدى	ورفعت دينك فاستضاء هناك
ماذا يقول المادحون وما عسى	أن تجمع الكتاب من معناك
صل عليك الله يا علم الهدى	ما اشتاق مشتاق إلى مشواك

بم يكون الصلح مع الله ؟

الصلح مع الله يكون بالعمل ، والتمسك بكتاب الله ورسوله . فكتاب والسنة أستاذان جليلان في جامعة الإسلام العظمى ، وقد اشتمل كل منهما على أحكام الله ، وعن وعده ووعدته ، وأمره ونهي ، وقصص السابقين ، وآيات العقيدة ، وغير ذلك من الحقائق العلمية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية . يضمن للبشرية سعادتها ورفقها . ولذلك أحببت أن أذكر طرقاً مما قاله سيد البشرية رسول الله - ﷺ - في شأن القرآن العظيم والمعنى به . وإذا كان رسول الله - ﷺ - يعظم القرآن ويحمله ، فإن القرآن - بدوره - يأمرنا بتباع رسول الله - ﷺ - . وهذه .. قال جل شأنه : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله ، فاتبعوني يحبك الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم ﴾ . وقال سبحانه : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ .

المؤمنون يومئذ ، قال : توضع لهم كرامات من نور ، وبطلل عليهم الغمام ، يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار .

هلا أعدت الزاد ليوم يقول الله فيه : « أين المتحابون بجلال ، اليوم أظلمهم بظل يوم لا ظل إلا ظلي » ؟ هلا أعد الزاد ليوم يقول الله فيه : « أين أهل الفضل ؟ فيقومون - وهم يسر - فيقال لهم : ادخلوا الجنة سراغاً ، فقول لهم الخلاق : لم تسرعوا إلى دخول الجنة ؟ فيقولون لهم : لأننا أهل الفضل ، فقول الخلاق : وما فضلكم ؟ فيقولون : كنا إذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أساء إلينا حلمنا ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة ، فعم أجراً العالين ؟ !

إن الخوف من القيام بين يدي الله في الحاسب ردي في النفوس شدة الرقابة لربهم فخشيت أن تقترف معاصيه ، وجعلت رقابة الله خير وازع يمنعها من الوقوع فيما يفضيه ، ويوم تنسى النفوس هذا اليوم وما فيه وما سيحري في ساحتها .. فإنها تفضل وتشتي .. أو ما سمعت إل هذا المشهد القرآني يلقى باللائمة على قوم عصوا الله ، لأنهم نسوا هذا اليوم ؟ قال جل شأنه : ﴿ ويل للمطففين - الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ [المطففين : ١ - ٦] .

قم في الدجى واضرع إليه وناده يا عالماً بعباده وخبراً
فلقد عرفك سائراً وغفورا إن لم أكن أهلاً لعفوك : سيدي

إن الله يسطر يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويسطر يده بالنهار ليتوب مسيء الليل . إلهي : إن لم أكن أهلاً لبلوغ رحمتك ، فإن رحمتك أهدى لأن تبليغي ، فأنت القائل : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [الأعراف : ١٥٦] ، وأنا شيء ، فلنستغني رحمتك .. إن باب الله يقبل المظرودين ويعفو عن المذنبين . فأين طريق النجاة ؟ الصلح مع الله هو طريق النجاة .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وقال عز من قائل : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ .

استمع إلى سيدنا رسول الله - ﷺ - يبين غير الناس فيقول : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .. ثم استمع إلى فضل تلاوة هذا الكتاب وما أعدّه الله لتأليه من الأجر العظيم : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها . لا أقول (آلم) حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة » .

ثم اعجب هذا الفضل العظيم الذي اختص الله به من شغل بالقرآن عن مسألة الله .. يقول - عليه الصلاة والسلام - : « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن مسألة الله أعطيت أفضل ما أعطى السائلين : وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

ثم انظر إلى فضل الله تعالى وكيف أعطى المتع بالقرآن الذي تشق عليه القراءة أعطاه أجرين ، إذ أن الثواب على قدر المشقة . قال رسول الله - ﷺ - : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة . والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق : له أجران » .

وقد قال أبو ذر لرسول الله - ﷺ - : أوصني ، قال : « عليك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله » ، فقلت : يا رسول الله ردي ، قال : « عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وظل لك في السماء » .

فاللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء همومنا وذنوبنا .
والحمد لله أولاً وآخراً . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فضيلة الشيخ / عبد الحميد كشك

الفهرس

الموضوع

الصفحة

مقدمة

طريق النجاة

القرآن العظيم وأثره في العصر

القانون الإلهي العادل

صحف إبراهيم عليه السلام

طريق المسلمين الأوائل

أثر العقيدة في حياة المسلم

بهذه الروح انتصر المسلمون

القرآن يحذر من الحراف القوي النفسية

القرآن طريق العصمة من حيلولة الشيطان

القرآن وأثره في سلوك المسلم

القرآن وأثره في تربية الأخلاق

عواقب الإعراض عن ذكر الله

توجيهات ربانية

من أعرض عن الله سلك طريق الشيطان

الهداية الربانية لا تستعصي على من أرادها

مسالك الشيطان وأغوائه

وقفة اعتبار وعظة

الاعتبار بأهوال القيامة

يا ابن آدم

الخاتمة (بهم يكون الصلح مع الله ؟)

الفهرس